
مجلة
الفرقان
AL-FORQAN
العدد ١٠١٧ - الاثنين ٤ ذو الحجة ١٤٤٠هـ - الموافق ٥/٨/ ٢٠١٩م
الحج
فريضة ربانية
وقيمة حضارية
وقفات إيمانية
مع عشر ذي الحجة
...
فقه الترخص
وتطبيقاته
في الحج



إن الله يدافع عن الذين آمنوا

قال الله -تعالى-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة:٢٠٤-٢٠٦).

لا شك أن الغزو العراقي الآثم على دولة الكويت في عام ١٩٩٥ لا يدل على وحشية المعتدين وإجرامهم فقط، بل يمثل قمة الغدر والخديعة التي لا يتصف بها إلا أخس أنواع البشر؛ فقد وقفت الكويت مع العراق في أحلك المواقف، وقدمت له الكثير من المساعدات، واستأمنته على حدودها وأبنائها، لكن هؤلاء الغادرين الذين مثلوا دور الصديق والحامي للبوابة الشرقية كانوا يبطنون الشر ضد هذا الشعب الطيب، ويخططون لاستباحة أرضه ونهب ثرواته!

وفي ليلة حالكة السواد فوجئ الكويتيون بجحافل الجيش العراقي يجتاحون ديارهم، ويستبيحون أرضهم، ويسلبون أموالهم، ويقتلون أبناءهم تحت شعارات باطلة لا تنطلي إلا على المنحرفين وأصحاب الأهواء!

لقد كان مخططا خبيثا دُبر بليل؛ فابتلع الكويت بكاملها في ساعات عدة تحقيقا لأطماع خبيثة، لكن الله -تعالى- الذي يدافع عن الذين آمنوا وينصر عباده، قد كان لهم بالمرصاد، فما الذي حصل؟!

لقد هيأ الله -تعالى- للعالم كله أن ينتفضوا ضد ذلك البغي والعدوان، وأن يرفضوه؛ فتقاطرت جيوش العالم كله من كل حدب وصوب لتحرير الكويت ولصد العدوان العراقي، وخلال سبعة أشهر شنت القوات الدولية هجوما على قوات البغي؛ فأخرجتها من الكويت، وحررت البلاد من ذلك العدوان الآثم، ولم تكتف بذلك بل أجبرت قوات العدوان الباغي على تعويض الكويت بما خسرته من أموال وممتلكات!

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج:٣٨)، لقد خسر البغاة الكثير جراء تلك المغامرة البائسة، وعادت الكويت أفضل مما كانت، وشاهدنا البغاة تصيبهم المصائب المتتالية من فقر وجوع وفتن متواصلة، وشاهدنا الكويت تتبرع لهم بالمساعدات لتخفيف معاناتهم ولتتسامى على جراحاتها، ولتضرب للناس مثلاً على العفو عند المقدرة!

﴿لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم:٤٢).

يقول الرسول -ﷺ-: «إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود:١٠٢)» (متفق عليه).

إن دروس الغزو الصدامي على الكويت كثيرة، والواجب هو شكر الله -تعالى- الذي سخر العالم كله للدفاع عن ذلك الحق، والإصرار على فعل الخير وتجنب الظلم؛ فإن عاقبة الظلم وخيمة!

تقدم برامجها للأطفال والفتيات والنساء والشباب على حدٍ سواء

الأنشطة الصيفية لجمعية إحياء التراث: ثقافية واجتماعية ممتعة بامتياز

ناصر عنيزان

سعت جمعية إحياء التراث الإسلامي ومن خلال لجانها ومراكزها المنتشرة في الكويت، وإدراكاً منها بوصفها جمعية نفع عام لأهمية نشر الوعي بين الشباب واستغلال أوقات فراغهم فقد عملت الجمعية على نشر المراكز العلمية، والنوادي، ومراكز الشباب، وحلقات تحفيظ القرآن، لتكون بيئة تربوية صالحة، يجد فيها الشاب المسلم العلم النافع والمفيد، والتوجيه العلمي الصحيح ليشفي غليله، ويروي ظمأه من العلوم الشرعية والنصائح والتوجيهات، إلى جانب العلوم الأخرى والترفيه النافع الموجه.

غرس القيم

وانطلاقاً من هذا الباب، قامت جمعية إحياء التراث الإسلامي، بتنظيم الأنشطة الخاصة للشباب، في مراحله العمرية خلال العطلة الصيفية من خلال مراكز الشباب التي تستهدف غرس القيم، والأخلاق الإسلامية الحميدة في الشباب المسلم، وتحفيظهم القرآن الكريم وتعليمهم أمور دينهم، وتنمية مهاراتهم الثقافية والعلمية، وقضاء أوقات فراغهم بالمتعة والفائدة، كذلك صقل المهارات المختلفة للأبناء، وممارسة الهوايات المحببة لهم في جو إيماني وبرفقة صحبة صالحة، فضلا عن تنظيم بعض الرحلات العلمية، والمسابقات، والمشاركة في أنشطة وأعمال العديد من اللجان والجهات الأخرى، كما يتم من خلال هذه المراكز إقامة المخيمات الربيعية الخاصة بالشباب خلال فترة الربيع، التي تشتمل على العديد من الأنشطة الثقافية والمسابقات، والعديد من المحاضرات، وتنظيم الدروس المنوعة في الفقه والسيرة والعقيدة أسبوعيا، والنوادي والمراكز العلمية التي تقيمها اللجان التابعة للجمعية

سعت الجمعية إلى نشر الوعي بين الشباب واستغلال أوقات فراغهم فيما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم

الشيخ جاسم المسباح في أحد الدروس الشرعية للشباب

عملت الجمعية على نشر المراكز العلمية، ومراكز الشباب، وحلقات تحفيظ القرآن، لتكون بيئة تربوية صالحة، يجد فيها الشاب المسلم العلم النافع والمفيد

مراكز الشباب تستهدف غرس القيم، والأخلاق الإسلامية الحميدة في الشباب المسلم، وتحفيظهم القرآن الكريم وتعليمهم أمور دينهم

كثيرة ومتنوعة.

مركز الشباب

ومن أبرز أنشطة الجمعية لهذا العام، قيام مركز الشباب في المقر الرئيسي للجمعية في قرطبة خلال الصيف باستقبال الشباب من المرحلة الإبتدائية إلى المرحلة الجامعية، وتنظيم العديد من الأنشطة لهم، التي ستستمر فعالياتها طوال العطلة الصيفية، فضلا عن تنظيم النادي الصيفي تحت شعار (المؤمن القوي)، واحتوى على العديد من الفعاليات والأنشطة مثل: تحفيظ القرآن الكريم، والدورات العلمية، والدروس الدينية، وغيرها من الأنشطة الثقافية والملتقيات التربوية، والرحلات العلمية والترفيهية، فضلا عن البرامج الرياضية.

النادي الصيفي بالجهراء

وفي محافظة الجهراء تم تنظيم (النادي الصيفي ٣)، الذي تم من خلاله حفظ بعض من أجزاء القرآن الكريم، وتدريس الآداب الإسلامية، فضلا عن البرامج الرياضية، والرحلات الترفيهية والعلمية للفئات العمرية من (٦ – ١٢) سنة، والدراسة فيه من بعد صلاة العصر، وحتى صلاة المغرب ، فضلا عن تنظيم (٥) مجالس علمية إيمانية، تم فيها تناول العديد من الأمور الدعوية والشرعية المختلفة.

مركز رياض الصالحين

أما في منطقة صباح الناصر فقد قام مركز رياض الصالحين بتنظيم فعالياته الصيفية للناشئة، التي احتوت على العديد من الأنشطة العلمية والترفيهية والرياضية، فضلا عن الأنشطة الرئيسية، وهي تحفيظ القرآن الكريم، وحفظ الأحاديث النبوية، وتعليم مباديء اللغة العربية، وهذه الأنشطة موجهة للفئة العمرية من سن (٦ – ١٥) سنة.

صيفنا إبداع وتثقيف

وفي فرع صباح السالم، نظمت بعض الأنشطة الصيفية تحت شعار (صيفنا إبداع وتثقيف)، التي تم من خلالها تنظيم العديد من الفعاليات الموجهة للطلبة من سن (٨ – ١٥) مثل: نشاط حفظ القرآن الكريم، والدروس الشرعية، فضلا عن الأنشطة الرياضية والرحلات الترفيهية .

عمرة الماهر بالقرآن

كما قامت إدارة مراكز تحفيظ القرآن الكريم بتنظيم (عمرة الماهر بالقرآن الثامنة)، وبلغ عدد المشاركين في هذه الرحلة (٦٥) مشاركا من أبنائنا الطلبة، والهدف من هذه الرحلة المباركة حفظ أجزاء من القرآن الكريم في الحرم المكي على يد مشايخ متقنين، وإقامة الدروس العلمية التي تخص القرآن الكريم والمسابقات الثقافية والرياضية، ويتبع هذه الإدارة (٢٠٠) حلقة تقريباً، ينتسب لها أكثر من (٦٠٠٠) طالب وطالبة، ويعمل فيها أكثر من (١٥٦) محفظا ومحفظة، وهذه الحلقات موزعة على محافظات الكويت كافة.

وتأتي هذه الحلقات مع بداية كل عطلة صيفية، محاولة من الجمعية توفير البيئة الصالحة الملائمة للنشء من الجنسين التي حث عليها الإسلام، والارتباط بأصدقاء الخير الذين يتصفون بالصفات الطيبة التي أمر الإسلام بها، كالوفاء، والأمانة، والصدق، والبعد عن ضد ذلك من الصفات التي حذر منها الإسلام، ومحاولة لاستثمار أوقات النشء بما يعود عليهم بالمنفعة في الدنيا والآخرة.

مركز العمرية للقرآن

ومن ذلك قيام مركز العمرية للقرآن التابع للجمعية بفتح أبوابه لاستقبال الطلبة والطالبات في حلقات القرآن تحت شعار (علم أبناءك القرآن)، التي تشمل الجنسين من الذكور والإناث في ١٣ مسجداً، وتتضمن هذه الحلقات برامج تربوية إيمانية متنوعة مصاحبة لحفظ القرآن، فضلا عن قيام لجنة الدعوة والإرشاد في منطقة العمرية بتنظيم محاضرة بعنوان : (جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في الدفاع عن عقيدة السلف) ألقاها الشيخ حاي الحاي.

مركز أهل القرآن

أما مركز أهل القرآن في منطقة الجهراء؛ فقد نظم الدورة العلمية المكثفة الرابعة لحفظ القرآن الكريم للناشئة من سن (١٣) فما فوق ممن حفظوا (٣) أجزاء على الأقل، فضلا عن تنظيم لجنة الدعوة والإرشاد في منطقة الجهراء محاضرة عامة بعنوان : (علم القراءات) ألقاها الشيخ د. إيهاب فكري.

موسم الحج

كما قامت لجان الدعوة والإرشاد التابعة للجمعية، بتنفيذ العديد من الأنشطة والبرامج خلال موسم الحج الحالي، بهدف التعريف بكيفية أداء مناسك الحج وفق الكتاب والسنة الصحيحة، ومن ذلك تنظيم لجنة الدعوة والإرشاد في مدينة سعد العبدالله، العديد من الدورات العلمية في شرح كتاب (الحج)، ومنها دورة علمية من (كتاب منار السبيل للضويان) حاضر فيها الشيخ د. سالم قطوان، فضلا عن دورة في كتاب (بلوغ المرام - كتاب الحج) ألقاها الشيخ د.حسين القحطاني ، كذلك إقامة دورتين في شرح كتاب الحج أيضاً من كتابي (الحج من عمدة الأحكام - الملخص الفقهي)، وفي مدينة سعد العبدالله أيضاً، نظم ملتقى دعوي بعنوان: (الحج فضائل وأحكام)، نُظِّم من خلاله العديد من المحاضرات مثل: محاضرة بعنوان: (فضائل الحج) ألقاها الشيخ جابر بشارة، ومحاضرة بعنوان: (صفة الحج) للشيخ عبدالرحمن الظفيري.

الشباب والفتيات

كما قدمت الجمعية أنشطتها للشباب والفتيات



جانب من عمرة الماهر بالقرآن بالحرم المكي

قدمت الجمعية أنشطتها للشباب والفتيات على حد سواء ومن ذلك تنظيم اللجنة النسائية لبرامج صيفية هادفة، تقدمها لفئة الأطفال والفتيات والنساء

على حد سواء؛ فكما أنها نظمت أنشطة خاصة بالشباب؛ فقد نظمت كذلك أنشطة خاصة بالفتيات، ومن ذلك تنظيم اللجنة النسائية التابعة للجمعية لبرامج صيفية هادفة لهذا العام، تقدمها لفئة الأطفال والفتيات والنساء؛ حيث ستتضمن هذه البرامج الصيفية تنظيم العديد من الفعاليات والأنشطة من خلال اللجان والمراكز النسائية التابعة لها، ومن هذه الأنشطة: تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم أحكام التجويد للعربيات وغير العربيات، فضلا عن العقيدة والفقه والتفسير، وتنظيم الرحلات الترفيهية والعلمية، والدورات العلمية، والتدريبية مثل: (الفوتوشوب - الكمبيوتر - ورش العمل المتعددة) والمسابقات الثقافية المختلفة، ومن ذلك أيضاً قيام مركز الفرقان لتحفيظ القرآن الكريم في منطقة العارضية بتنظيم حلقات قرآنية للفتيات والنساء، التي شملت العديد من المواد مثل: تصحيح التلاوة



جانب من النشاط الرياضي


جانب من النشاط الرياضي

يتبع إدارة مراكز القرآن (٢٠٠) حلقة، وينتسب إليها أكثر من (٦٠٠٠) طالب وطالبة، ويعمل فيها أكثر من (١٥٦) محفظا ومحفظة

وتحفيظ القرآن الكريم، وحفظ الوحيين وتاج التميز والدورات المبسطة.

نادي لينة الصيفي

كما نظمت حلقة اليرموك النسائية نادي (لينة الصيفي)، الذي يستقبل الفتيات من سن (٥ – ١٣) سنة، وتتضمن فعالياته العديد من الأنشطة والبرامج مثل: حفظ القرآن الكريم، والقصص والمسابقات، والأشغال اليدوية؛ حيث ستستمر فعاليات النادي حتى يوم ٢٠١٩/٨/٧م .

نادي حرائر الصيفي

وفي لجنة الجهراء النسائية بدأت فعاليات نادي (حرائر الصيفي)، الذي يستقبل الفتيات من سن (١٢) سنة فما فوق، وتضمنت فعالياته التي أقيمت تحت شعار (أنا فيض من الأخلاق) العديد من الأنشطة والبرامج مثل: الدورات العلمية والورش، فضلا عن الرحلات الترفيهية والعلمية، والمسابقات الثقافية؛ حيث استمرت فعاليات النادي حتى يوم ٢٠١٩/٧/٣١م، فضلا عن تنظيمها دورة في (التفسير) من شرح كتاب تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبدالرحمن السعدي، كذلك نظمت إدارة فروع العمل النسائي الدورة الصيفية المكثفة بعنوان: (في رحاب السنة النبوية)، التي اشتملت على العديد من المواد مثل: (مراجعة متن جوامع الأخبار) في منطقتي مشرف والجهراء، فضلا عن (حفظ متن الأربعين النووية) في منطقتي سعد العبدالله وهدية، كما أقامت مجلس سماع لكتاب الشمائل المحمدية في منطقة قرطبة.


أحد الدروس الشرعية بمسجد مركز الشباب

المشاركة في أنشطة الجمعية

وفي هذا السياق تهيب الجمعية بأولياء الأمور لتسجيل أبنائهم في هذه الأنشطة التي تقوم بها الجمعية خلال العطلة الصيفية، انطلاقاً من دعمها لكل ما يخدم أفراد المجتمع؛ وذلك لما لهذه الأنشطة من أهمية في تحفيظ كتاب الله -تعالى- وسنة نبيه ﷺ، وتنمية المواهب والقدرات، وإنقاذ الشباب في هذه السن من الانحرافات المختلفة، كالتدخين، والمخدرات، ورفقة السوء؛ حيث لا صلاح ولا فلاح إلا بالرجوع إلى الله -تعالى- وحفظ كتابه.

ومعلوم أن جمعية إحياء التراث الإسلامي تولي اهتمامًا كبيرًا للعمل داخل الكويت، سواء على مستوى الأعمال الخيرية، أم أنشطتها الدعوية والتعليمية ، متعاونين في ذلك مع المؤسسات العاملة في هذا المجال، سواء الحكومية أم الأهلية.

- عمرة الماهر بالقرآن تستهدف تحفيظ الطلبة القرآن الكريم في الحرم المكي الشريف
- يتبع إدارة مراكز القرآن (٢٠٠) حلقة، وينتسب لها أكثر من (٦٠٠٠) طالب وطالبة، ويعمل فيها أكثر من (١٥٦) محفظا ومحفظة
- تقدم الجمعية برامج صيفية لفئة الأطفال والفتيات والنساء والشباب والفتيات على حد سواء
- الجمعية تولي اهتماماً كبيراً للعمل داخل الكويت، في الأعمال الخيرية، والأنشطة الدعوية والتعليمية.



الحج الميسر نقلة نوعية في أداء وزارة الأوقاف الكويتية

اعتمدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فكرة الحج الميسر؛ وذلك بإيجاد عدد ١٠ حملات بسعر ١٣٠٠ دينار لكل حاج، وتتضمن ٢٠٠٠ حاج كويتي بواقع ٢٠٠ حاج مع كل حملة وفق خدمات الفئة (ج) من تصنيف حملات الحج الكويتية.

وأكد وكيل وزارة الأوقاف فريد عمادي، أن اللجنة العليا للحج والعمرة حريصة على تسهيل إجراءات الحج وتمكين أكبر عدد ممكن لأداء الفريضة وفق السعر العادل؛ ولهذا تم الاتفاق على فكرة الحج الميسر لعدد ألفي حاج التي سنعمل جاهدين واتحاد حملات الحج الكويتية لإنجاح هذه الفكرة، مثلما تم بحمد الله وتوفيقه نجاح فكرة حملات منخفضة التكاليف التي سيرت للحجاج البدون خلال الأعوام السابقة.

إجماع أعضاء اللجنة

وبين العمادي أن قرار اعتماد حملات الحج الميسر للكويتيين، جاء بإجماع أعضاء اللجنة العليا للحج والعمرة، والممثلة من الجهات المعنية بالحج، واتحاد حملات الحج الكويتية، لإيمان جميع الأعضاء بأهمية تمكين الحجاج من أداء مناسكهم على أكمل وجه، وتوفيره لمختلف شرائح المجتمع وفئاته، وأكد العمادي أن اللجنة تعمل وفق استراتيجية واضحة ومحددة الأهداف ترمي إلى تسهيل تيسير إجراءات الحج.

حج مخفض للبدون

وأشار العمادي إلى أن اللجنة لم تنس التركيز على فكرة حج منخفض التكاليف لفئة البدون؛ حيث أقرت اعتماد ألف حاج يتم طرح مناقصة لأقل ٥ حملات سعراً، فضلا عن توفير الدعم المالي لهذه الشريحة من خلال التنسيق مع الأمانة العامة للأوقاف وبيت الزكاة.

موافقة الجهات المختصة

وأكد العمادي موافقة الجهات المختصة في المملكة العربية السعودية على تمكين البدون من أداء فرضة الحج، لافتاً إلى أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قدمت طلباً إلى وزارة الحج في المملكة العربية السعودية للسماح لفئة البدون لأداء فريضة الحج والعمرة، وأكد العمادي أن اللجنة العليا للحج والعمرة درست أسعار حملات الحج؛ بحيث كل حملة قدمت سعرها المعلن وفق قائمة بالخدمات المقدمة، وسعر كل خدمة حتى يتم الإشراف على تقديم الخدمات اللازمة للحج، وفي حال عدم تمكن الحملة من تقديم هذه الخدمة، يجب عليها إعادة المبلغ المخصص لهذه الخدمة للحجاج، وأكد العمادي أنَّ اللجنة العليا للحج والعمرة حرصت على تنفيذ كل المهام الموكلة لها وفق قانون تنظيم حملات الحج والعمرة رقم ١

عمادي: اللجنة العليا للحج والعمرة حريصة على تسهيل إجراءات الحج وتمكين أكبر عدد ممكن لأداء الفريضة وفق السعر العادل

اللجنة لم تنس التركيز على فكرة حج منخفض التكاليف لفئة البدون؛ حيث أقرت اعتماد ألف حاج منهم

الحج الميسر للكويتيين فقط، وأولوية التسجيل للأكبر سناً، لكنه متاح لجميع الأعمار

لسنة ٢٠١٥م؛ حيث تختص اللجنة العليا للحج والعمرة بالإشراف على جميع أعمال الحج والعمرة داخل دولة الكويت، والمملكة العربية السعودية، وتنظيم الإجراءات المتعلقة بتراخيص حملات الحج أو العمرة، ووضع الشروط الواجب توافرها فيمن يرخص لهم بتسيير هذه الحملات، فضلا عن وضع الشروط والضوابط اللازمة لضمان أداء الحجاج والمعتمرين لمناسك الحج والعمرة على الوجه الأكمل، وتوفير وسائل الصحة العامة والسلامة والراحة لهم، سواء عند قيام الحملات داخل الكويت، أو في أثناء سيرها في الطريق، أو الإقامة في المملكة العربية السعودية، والرقابة اللاحقة على المقابل الذي يحصل عليه المرخص لهم من الحجاج والمعتمرين والنظر في المخالفات التي تقع من المرخص لهم بتسيير حملات حج وعمرة.

متاح للكويتيين جميعهم

وأوضح عمادي أن الحج الميسر متاح لجميع الكويتيين من دون النظر إلى الملاءة المالية الخاصة بهم، فقد حرصت الوزارة على توفير فرصة حج لمن لم يحج بسعر ميسر وخدمات تشمل: السكن في عمارة بنظام الشقق المفروشة، وتذكرة طيران ذهاباً وعودة على الدرجة الاقتصادية، وكذلك الطعام بنظام البوفيه، فضلا عن بوفيه للمشروبات للرجال، وآخر للنساء، وكذلك توفير مخيمات الحملة في المشاعر المقدسة.

للكويتيين فقط

وذكر: أن الحج الميسر للكويتيين فقط، وأولوية التسجيل للأكبر سناً، لكنه متاح لجميع الأعمار، مؤكداً حرص وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على تيسير الحج لفئات المجتمع الكويتي، وذلك من خلال تحقيق سعر مناسب، وكذلك إيجاد الخدمات الملائمة للحجاج، وفق التصنيف المعتمد من اللجنة العليا للحج والعمرة.

التسجيل الإلكتروني

وأكد عمادي أنه تم التسجيل من خلال الرابط الإلكتروني، وذلك للتسهيل على الحجاج؛ حيث يمكنهم الدخول على الرابط من أي موقع، ومن خلال الأجهزة الحديثة والمحمولة، كما يمكنهم اختيار الحملة المناسبة ورفع صورة الجواز والبطاقة المدنية واختيار الحج مفرداً أو مع مرافقين، وكل هذه الخدمات تقدم من خلال الموقع الإلكتروني، موضحاً أنه بعد انتهاء عملية التسجيل تصل رسالة نصية للحاج عبر رقم هاتفه المعتمد بالتسجيل وأرقام التواصل مع الإدارة؛ وذلك للتواصل والاستفسار عن الحج.

بهدف التعريف بكيفية أداء مناسك الحج

إحياء التراث العمرية والعارضية والجهراء تقيم محاضرات حول صفة حج المرأة

نظمت لجان الدعوة والإرشاد التابعة لجمعية إحياء التراث الإسلامي العديد من الأنشطة والبرامج خلال موسم الحج الحالي، بهدف التعريف بكيفية أداء مناسك الحج، وأحكام الأضحية وفق الكتاب والسنة الصحيحة، ومن ذلك نظمت لجان الدعوة والإرشاد التابعة للجمعية الأربعاء ٢٠١٩/٧/٣١م العديد من المحاضرات والدروس، التي منها محاضرة بعنوان: (أحكام الأضحية) في منطقة العمرية؛ بحيث ألقاها الشيخ/محمد بن علي الحمادي، كما نظمت لجنة الجهراء النسائية وضمن ملتقى (وفادة القلب) درساً بعنوان: (صفة حج المرأة) ألقاها الشيخ: فرحان عبيد الشمري، كما أقامت لجنة الدعوة والإرشاد في منطقة العارضية محاضرة بعنوان: (آيات الحج.. دروس وعبر)، ألقاها الشيخ/ حمد الأمير.

والجدير بالذكر أن لجان الدعوة والإرشاد بجمعية إحياء التراث الإسلامي تتولى مسؤولية نشر الكلمة الطيبة في المجتمع، والتصدي بالحكمة والموعظة الحسنة لعوامل الانحراف العقائدي والأخلاقي التي تستهدف قيم المجتمع ومُثُله، والسعي لإصلاح الفرد والمجتمع وتوجيهه لطريق الاستقامة، كذلك تقوم بدعوة الجاليات غير المسلمة للإسلام، وذلك من خلال توزيع الكتيبات والأشرطة الإسلامية، وعقد المحاضرات والندوات، فضلا عن عقد الدورات الشرعية والعلمية، وإقامة حلقات لتحفيظ القرآن الكريم.

شرح كتاب الجنائز من صحيح مسلم

باب: في عذاب القبر والتعوِّذ منه

الشيخ: محمد الحمود النجدي

عن زَيْد بْن ثَابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ في حَائط لبَنِي النَّجَّار على بَغْلَة لَهُ ونَحْنُ مَعَهُ؛ إذْ حَادَتْ به فَكَادَتْ تُلْقِيه، وإِذَا أَقْبُرُ ستَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ قَالَ: كَذَا كان يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ؛ فقال: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذه الأَقْبُرِ؟»؛ فَقَال رَجُلٌ: أَنَا قَال: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟»، قَال: مَاتُوا في الإِشْرَاك؛ فقال: «إِنَّ هَذه الأُمَّةَ تُبْتَلَى في قُبُورهَا؛ فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا؛ لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ منْ عَذَاب الْقَبْر الَّذي أَسْمَعُ منْهُ»، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بوَجْهه؛ فقال: «تَعَوَّذُوا باللَّه منْ عَذَاب النَّار»، قالوا: نَعُوذُ باللَّه مَنْ عَذَاب النَّار؛ فقال: «تَعَوَّذُوا باللَّه منْ عَذَاب الْقَبْر»، قالوا: نَعُوذُ باللَّه منْ عَذَاب القَبْر، قال: «تَعَوَّذُوا بَاللَّه منْ الْفتَن مَا ظَهَرَ منْهَا وَمَا بَطَنَ»، قالوا: نَعُوذُ بَاللَّه منْ الفتَن، مَا ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، قال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»، قالوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ.

هذا الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢١٩٩/٤) وبوب عليه النووي: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، صحابي الحديث: زيد بن ثابت، هو ابن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة.

قال الذهبي: الإمام الكبير، شيخ المقرئين، والفرضيين مفتي المدينة أبو سعيد، وأبو خارجة الخزرجي، النجاري الأنصاري، كاتب الوحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حدث عن النبي ﷺ وعن صاحبيه، وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله، ومناقبه جمة. انتهى

قال: بينا رسول الله ﷺ في حائط، أي: كان في بستان لبني النجار قبيلة من الأنصار.

قوله: «على بغلة له إذ حادت» بالحاء المهملة على الصحيح، وقيل بالجيم من الجودة بالضم أي: مالت ونفرت، «فكادت تلقيه» من الإلقاء، أي: تسقطه وترميه عن ظهرها.

قوله: «وإذا أقبر» بفتح فسكون فضم، جمع قبر «ستة أو خمسة» إذا بالألف للمفاجأة، والواو للحال، أي: نحن على ذلك مع رسول الله ﷺ «وإذا أقبر» أي: ظهرت لنا قبور معدودة فجأة.

ورد في السنة: ثبوتُ سماعِ البهائم لأصوات المعذَّبِينَ في القبورِ؛ ولذا أمرنا النَبي ﷺ بالاستعاذة من عذابِ القبرِ، والفتنِ، والنَّارِ، وفتنةِ الدَّجَّالِ

الأمر بالاستعاذة من عذاب القبر، دليلٌ قاطع على أن في القبر عذابا

الإنسان يستعيذ بالله -تعالى- من شرّ ما وقع؛ فيُعان على تحمّله وعلى عدم الفتنة به

صوت المعذَّبين

قال القرطبي -رحمه الله-: وإنما حادت به البغلة لما سمعت من صوت المعذَّبين، وإنما لم يسمعه من يعْقِل من الجن والإنس؛ لقوله ﷺ: «لولا ألا تَدافنوا؛ لدعوتُ الله أن يُسمعَكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»، وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مَغَلَت - والمَغل: مغص يصيب الدواب إذا أكلت الترابَ مع العلف - إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين، كالإسماعيلية، والنُّصيرية، والقرامطة من بني عُبيد وغيرهم الذين بأرض مصر والشام؛ فإنَّ أصحاب الخيل يقصدون قبورهم لذلك، كما يقصدون قبور اليهود والنصارى، قالوا: فإذا سمعت الخيلُ عذاب القبر أحْدثَ لها ذلك فزعًا وحرارة تذهب بالمغل. انتهى . (كتاب الروح: ص ٧٢).

قوله: مَنْ يَعرف أصحاب هذه الأقبر؟

قوله: «فقال: مَنْ يَعرف أصحاب هذه الأقبر؟ أي: ذواتهم وصفاتهم وتاريخ وفاتهم وأيام حياتهم؟ قال رجل: أنا، أي: أعرفهم، قال ﷺ: إذا كنت تعرفهم؛ فمتى ماتوا؟، أي: في الجاهلية أم بعدها؟، قال: «مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ»، أو «في الشرك»، أي: في زمنه أو صفته، قال ابن حجر: أي بعد بعثتك بدليل قوله: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها». أي: بالعذاب فيها، قال: وإنما حملته على ذلك ليوافق الأصح أن أهل الفترة لا عقاب عليهم اهـ. كذا قال، وفيه: أن أهل الفترة على ما حققوا نادر الوجود؛ لوجود دعوة إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام.

قوله: «فقال: إنّ هذه الأمة». الأمة : كلُّ جماعة يجمعهم أمرٌ واحد، إما دين أو زمان أو مكان. «تبتلى» بصيغة المجهول، أي: تمتحن في قبورها، ثم تنعّم أو تعذب .

قوله: «فلولا أنْ لا تدافنوا»

بحذف إحدى التاءين، أي: لولا مخافة عدم التدافن إذا كشف لكم لدعوت الله، أي: سألته أنْ يسمعكم، أنْ يجعلكم سامعين من عذاب القبر، يحتمل أنْ تكون من للتبعيض، ويحتمل أن تكون زائدة .

قيل: المانع من الدعاء هو الخوف عليهم من الحيرة والدهشة وانخلاع القلب. وقيل المانع ترك الإعانة في الدفن، وقال التوربشتي: لو سمعوا ذلك لهمَّ كلُّ واحدٍ منهم خويصة نفسه وعمَّهم من ذلك البلاءُ العظيم حتى أفضى بهم إلى ترك التدافن وخلعَ الخوفُ أفئدتَهم حتى لا يكادوا يقربون جيفة ميت.

قوله: «الذي أسمع منه»

أي: الذي أسمعه من القبر؛ فرسول الله ﷺ يسمع ما لا نسمع من أصوات حقيقية؛ فقد كان يسمع القرآن من جبريل -عليه السلام- والصحابة جالسون لا يسمعون شيئا، ويرى بعين بصره ما لا نرى، كما يصور له من المعاني في صور المحسوسات، ما لم يصور لنا؛ فقد صورت له الجنة والنار، ورأى صورتهما في عرض الحائط مما لم يقع، ولكنه سيقع، وقال ابن حجر: أي: مثل الذي أسمعه مفعول ثان ليسمع، أي: أنْ يُوصل إلى آذانكم أصوات المعذبين في القبر؛ فإنكم لو سمعتم ذلك تركتم التدافن من خوف قلع صياح الموتى أفئدتكم، أو خوف الفضيحة في القرائب، لئلا يطلع على أحوالهم .

حكمة إلهية

وقال القرطبي: فكتمه الله -سبحانه وتعالى- عنَّا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربَّانية لغلبة الخوف عند سماعه؛ فلا نقدر على القُرب من القبر للدفن، أو يهلك الحي عند سماعه؛ إذ لا يُطاق سماع شيءٍ من عذاب الله في هذه الدار لضعف هذه القوى، ألا نرى أنه إذا سمع الناسُ صعقة الرّعد القاصف، أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس؟! وأينَ صعقة الرعد من صيحة الذي تضربه الملائكة بمطارق الحديد التي يسمعها كلُّ من يليه؟!

إذا وُضِعت الجنازة

وقد قال النبي ﷺ كما في (صحيح البخاري) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إذا وُضِعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم؛ فإنْ كانت صالحة، قالت: قدِّموني قدّموني، وإنْ كانت غير صالحة، قالت: يا ويلها! أين تذهبون بها؟! يَسْمع صوتها كلُّ شيءٍ إلا الإنسان، ولو سَمِعها الإنسانُ لصعق». هذا وهو على رؤوس الرجال، وهي صيحة من غير ضرب ولا هوان؛ فكيف إذا حلَّ به الخزي والنكال، واشتد عليه الضرب والوبال؟! فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته بمنِّه. اهـ بتصرف (التذكرة: ص ١٦٣).

وهذا الحديث مثل قوله ﷺ: «لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا». متفق عليه قال ابن حجر: ووجه هذا التلازم أن الكشف عن ذلك العذاب يؤدي جهلة العامة إلى ترك التدافن خوفا عليهم منه، ويؤدي الخاصة إلى اختلاط عقولهم، وانخلاع قلوبهم من تصور ذلك الهول العظيم؛ فلا يَقربون جِيفة ميت، وبهذا التفصيل الذي ذكرته يندفع ما قيل: كيف يليق بمؤمن أنْ يترك الدفن المأمور به حَذَراً من عذاب القبر، بل يلزمه أنْ يعتقد أن الله إذا أرادَ تعذيبَ أحدٍ عذبه، ولو في بطن الحيتان، وحواصل الطيور.

قوله : «ثم أقبلَ علينا بوجهه»

تأكيد كقوله: رأيته بعيني؛ «فقال: تعوّذوا بالله من عذاب النار». أي: اطلبوا منه أنْ يدفع



أسباب العذاب في القبر كثيرة؛ فبعضهم يعذب في قبره على النميمة، وبعضهم على عدم التنزه من البول، وبعضهم على الكذب

عنكم عذابها.

قوله: «قالوا: نعوذُ بالله من عذاب النار»، أي: نعتصمُ به منها، قال: «تعوَّذوا بالله من عذاب القبر»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، ولعل تقديم عذاب النار في الذكر مع أنّ عذاب القبر مقدم في الوجود؛ لكونه أشد وأبْقى وأعظمُ وأقوى.

قوله: «تعوذوا بالله من الفتن»

الفتن جمع فتنة، وهي الامتحان، والابتلاء والبلاء، والشرك والكفر، وهو تعميم بعد تخصيص، «ما ظهر منها وما بطن» بدل من الفتن، وهو عبارة عن شمولها؛ لأنَّ الفتنة لا تخلو منهما، أي: ما جهر وأسر، وقيل: ما يجري على ظاهر الإنسان، وما يكون في القلب من الشرك والرياء والحسد وغير ذلك من مذمومات الخواطر.

قوله: «قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» أي: المراد كل فتنة تجر إلى عذاب القبر، أو إلى عذاب النار.

قوله: «تعوَّذُوا بِاللهِ مِن فتنةِ الدَّجَّالِ» خصَّها بالذّكر؛ لأنَّها مِن أكبرِ الفتنِ في الدُّنيا؛ حيثُ تَجرُّ فتنة الدجال إلى الكفرِ الأكبر المُفضي إلى العذاب المُخلَّد في النار، قالوا: نعوذُ باللهِ مِن فتنةِ الدَّجَّال.

فوائد الحديث

في الحديث: ثبوتُ سماعِ البهائم لأصواتِ المعذَّبينَ في القبور، وفيه: الأمرُ بالاستعاذة مِن عذابِ القبرِ، والفتنِ، والنَّارِ، وفتنةِ الدَّجَّالِ.

وفيه: ثبوتُ عذابِ القبر، وقد سبق الكلام عليه.

وفيه أنّ الإنسان يستعيذ بالله -تعالى- من شرّ ما وقع؛ فيُعان على تحمّله وعلى عدم الفتنة به، ويستعيذ بالله مما سيقع؛ ليُعينه الله عليه عند وقوعه؛ ويكفيه شرّه.

وقد صح في الحديث: عن أبي هريرةرَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ: «إذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ؛ فَلْيَسْتَعِذْ بالله مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَماتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ». رواه مسلم.

أمر الشارع بالاستعاذة

وأَمرُ الشارع بالاستعاذة من شيءٍ دليلٌ قاطع على وجود هذا الشيء؛ فأمرنا بالاستعاذة من وسوسة الشيطان، وهو أمر واقع في قوله: {من شر الوسواس الخنّاس الذي يُوسوس في صُدور الناس من الجنة والناس}(الناس ٤- ٦)، دليل لا شك في وجوده، وعليه؛ فالأمر بالاستعاذة من عذاب القبر، دليلٌ قاطع على أنّ للقبر عذاباً، ولما كان الميت من الإنسان يُقبر غالبا منذ أنْ قتل ابن آدم أخاه، وجعل القرآن الإقبار منة امتن بها على الإنسان ونعمة، بقوله: {ثم أماته فأقبره}(عبس : ٢١).

البرزخ

ولما كان ذلك كذلك صح أن يسند ما يقع بعد الموت إلى القبر، وإن لم يقبر، وما يقع له بين الموت والحساب، وهو البرزخ المذكور في قوله -تعالى-: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}(المؤمنون: ٩٩ -١٠٠).

رؤية الميت لمكانه

وقد يراه الميت يومًا أو بعض يوم مهما طالت المدّة؛ ومما هو معلوم أن الميت حين تبلغ روحه الحلقوم، يرى إنْ كان من المقربين {فروح وريحان وجنة نعيم وأما إنْ كان من أصحاب اليمين فسلامٌ لك من أصحاب اليمين وأما إنْ كان من المُكذّبين الضالين فنزل من حميم وتَصلية جحيم} (الواقعة: ٨٩- ٩٣).

أسباب عذاب القبر

وأسباب العذاب في القبر كثيرة؛ فبعضهم يعذب في قبره على النميمة، وبعضهم على عدم التنزه من البول، وبعضهم على الكذب، وبعضهم على أكل الربا، وبعضهم على الزنا، وغيرها من كبائر الذنوب التي وردت بها النصوص الشرعية، وأعظمها الكفر بالله -عز وجل- ورسله، كما قال الله عن فرعون وقومه: {وحاقَ بآل فرعون أشدّ العذاب النار يُعرضونَ عليها غُدواً وعشياً ويومَ تقومُ الساعة أدخلوا آلَ فرعون أشدّ العذاب} (غافر: ٤٥-٤٦).

د. أميــر الحـداد(*)
www.prof-alhadad.com



خطاب الله للنبـــي ﷺ (٧)

ذكرنا أن الله تكفل بتربية أنبيائه ورسله وجعلهم خيرة البشر ونستكمل الحديث عن الأدلة التي وردت في سورة الإسراء والتي تتحدث عن النبي ﷺ قال تعالى: ﴿ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن الله -تعالى- عصمك من أسباب الشر ومن البشر؛ فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تركن إليهم بوجه من الوجوه؛ فله عليك أتم نعمة وأبلغ منحة.

وركون النبي ﷺ إليهم غير واقع ولا مقارب الوقوع؛ لأن الآية قد نفته بأربعة أمور، وهي: (لولا) الامتناعية، وفعل المقاربة المقتضى أنه ما كان يقع الركون، ولكن يقع الاقتراب منه، والتحقير المستفاد من «شيئا»، والتقليل المستفاد من «قليلا» أي لولا إفهامنا إياك وجه الحق، لخُشي أن تقترب من ركون ضعيف قليل، وكان ذلك لم يقع، ودخلت (قد) في حيز الامتناع؛ فأصبح تحقيقها معدوما. أي لولا أن ثبتناك لتحقق قرب ميلك القليل، ولكن ذلك لم يقع لأنا ثبتناك.

لأذقناك ضعفا في الحياة وضعفا في الممات؛ فضعف عذاب الحياة، هو تراكم المصائب والأرزاء في مدة الحياة. أي العمر بزوال ما كان يناله من بهجة وسرور بتمام دعوته وانتظام أمته، ذلك أن يتمكن منه أعداؤه، وعذاب الممات أن يموت مكمودا مستذلا بين كفار يرون أنهم قد فازوا عليه بعد أن أشرفوا على السقوط أمامه.

وقيل: معنى ذلك أنه خطر في قلبه ﷺ أن يوافقهم في بعض ما أحبوا ليجرهم إلى الإسلام لشدة حرصه على إسلامهم.

وبين في موضع آخر، أنهم طلبوا منه الإتيان بغير ما أوحي إليه وأنه امتنع أشد الامتناع، وقال لهم: إنه لا يمكنه أن يأتي بشيء من تلقاء نفسه، بل يتبع ما أوحى إليه ربه، وذلك في قوله: ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾(١٠-١٥).

بين -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة تثبيته لنبيه ﷺ، وعصمته له من الركون إلى الكفار، وأنه لو ركن إليهم لأذاقه ضعف الحياة وضعف الممات، أي مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب الممات في الآخرة؛ وبهذا جزم القرطبي في تفسيره، وقال بعضهم: المراد بضعف عذاب الممات، العذاب المضاعف في القبر، والمراد بضعف الحياة، العذاب المضاعف في الآخرة بعد حياة البعث؛ وبهذا جزم الزمخشري وغيره، والآية تشمل الجميع. وهذا الذي ذكرناه هنا من شدة الجزاء لنبيه -لو خالف- بينه في غير هذا الموضع، كقوله: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾. الآية (٤٤-٤٦/٦٩).

وهذا الذي دلت عليه هذه الآية من أنه إذا كانت الدرجة أعلى، كان الجزاء عند المخالفة أعظم -بينه في موضع آخر- كقوله: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾الآية (٣٠-٣٣)، ولقد أجاد من قال:

وكبائر الرجل الصغير صغائر
وصغائر الرجل الكبير كبائر

هذه الآية الكريمة أوضحت غاية الإيضاح براءة نبينا ﷺ من مقاربة الركون إلى الكفار، فضلا عن الركون نفسه؛ لأن لولا (٧٤/١٧) حرف امتناع لوجود؛ فمقاربة الركون منعتها لولا الامتناعية لوجود التثبيت من الله -جل وعلا- لأكرم خلقه ﷺ؛ فصح يقينا انتفاء مقاربة الركون، فضلا عن الركون نفسه، وهذه الآية تبين ما قبلها، وأنه لم يقارب الركون إليهم البتة؛ لأن قوله: ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئا﴾ (٧٤/١٧). أي قاربت تركن إليهم، وهو عين الممنوع بلولا الامتناعية كما ترى، ومعنى تركن إليهم: تميل إليهم.

(*) أستاذ في جامعة الكويت

المنهج الصحيح
الذي يجب أن يسلكه كل مسلم

د. عادل المطيرات

في الصحيحين عن عُمر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه قالَ: بيْنَما نَحْنُ عنْدَ رَسُول الله ﷺ ذاتَ يوْم؛ إذْ طلعَ علَيْنا رجلٌ شديدُ بَياض الثِّياب، شَديدُ سَواد الشَّعر، لا يُرى علَيْه أثرُ السَّفر، ولا يعْرفُهُ منّا أحدٌ، حتَّى جَلسَ إلى النَّبيِّ ﷺ؛ فأسْنَدَ رُكْبَتَيْه إلَى رُكْبَتَيْه، وَوَضعَ كفَّيْه على فخذَيْه، وقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ أخْبرْني عَن الإسْلام»؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الإسْلامُ أنْ تَشْهَدَ ألا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وَتُقيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمضَانَ، وَتَحجَّ البَيْتَ إن اسْتَطعْتَ إليْه سَبيلا»، قالَ: «صَدقْتَ»، قَالَ: فعَجبْنا لهُ يَسْألُهُ، ويُصدِّقُهُ، قالَ: «فأخْبرْني عَن الإيمَان»، قالَ: "أنْ تؤْمنَ بالله وَمَلائكَته وكُتُبه ورُسُله وَالْيَوْم الآخر، وَتؤْمنَ بالْقَدر خيْره وَشَرِّه»، قالَ: «صَدقْتَ»، قَالَ: «فأخْبرْني عَن الإحْسَان»، قَالَ: «أنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَراهُ؛ فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّهُ يَراكَ»، قَالَ: «فأخْبرْني عَن السَّاعَة»، قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بأعْلَمَ منَ السَّائل»، قَالَ: «فأخْبرْني عَنْ أمَارَتهَا»، قَالَ: «أنْ تَلدَ الأمَةُ رَبَّتَها، وَأنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رعَاءَ الشَّاء يَتَطَاوَلُونَ في الْبُنْيَان»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فلَبثْتُ مَليًا، ثُمَّ قَالَ لي: «يَا عُمَرُ أتَدْري مَن السَّائلُ؟». قُلْتُ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ»، قَالَ: «فَإنَّهُ جبْريلُ أتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دينَكُم».

هذا الحديث العظيم يبين المنهج الصحيح الذي يجب أن يسلكه كلُ مسلم؛ فكثيرٌ من المسلمين يحتارُ في كيفية تطبيق هذا الدين العظيم؛ فأي مذهب يتبع؟ وأي جماعة يسير خلفها؟ وأي شيخ يأخذ بأقواله؟

الواجبُ على كل مسلم

الواجبُ على كل مسلم أن يتبع المنهجَ الذي ارتضاه له ربه -سبحانه وتعالى-، ورسوله ﷺ؛ فقد أخبر النبي ﷺ بأن هذه الأمة ستفترقُ على فرق كثيرة، وبيّن الواجبَ اتباعُه من هذه الفرق، ثبت في سنن أبي داود عن معاوية رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ؛ فقال : «أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ». وفي رواية الترمذي: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» .

أصول أربعة

إن الواجب على كل مسلم أن يكون مع الجماعة، التي على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام -رضي الله عنهم-، ولكي يعرف المسلمُ كيف يعبد ربه -سبحانه-، والمنهجُ الذي يجب اتباعُه؛ فليتبع حديث عمر السابق، لقد بيّن حديث عمر السابق المنهج الصحيح الذي يجب اتباعه، ويتلخص في أصول أربعة:

الأصل الأول

معرفة أركان الإسلام الخمس:

الركن الأول: معرفة الشهادتين؛ فمعنى شهادة ألا إله إلا الله: لا معبود يستحق العبادة إلا الله -سبحانه-، وشروطها سبعة: العلم، والإخلاص،

الواجب على كل مسلم أن يكون مع الجماعة، التي على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام -رضي الله عنهم



واليقين، والصدق، والمحبة، والانقياد، والقبول، ومعنى شهادةِ أن محمدا رسول الله: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع .

الركن الثاني: إقامة الصلاة؛ فتحرص على أن تصلى الصلوات الخمس على أوقاتها مع جماعة المسلمين في المسجد، وتحرص على النوافل القبلية والبعدية.

الركن الثالث: إيتاء الزكاة؛ فيجب عليك أن تؤدي زكاة مالك إن كنت تملك مالا ملكا تاما، سواء كان نقودا أم ذهبا وفضة، أم بهيمةَ أنعام، أم زروعا وثمارا، أم عروضَ تجارة، بشرط بلوغ النصاب وحولان الحول .

يا جامعَ المال في الدنيا لوارثــه
هل أنت بالمال بعد الموت تنتفع
لا تمسك المال واسترضِ الإله به
فإن حســبك منه الري والشبَع

الركن الرابع: أن تصوم رمضان؛ فإذا جاء شهر رمضان وجب عليك أن تصومه، إن كنت بالغا عاقلا صحيحا مقيما.

الركن الخامس: أن تحج إلى بيت الله الحرام مرة واحدة في العمر، إن كنت بالغا عاقلا مستطيعا بمالك وبدنك.

الأصل الثاني

معرفة أصول الإيمان: وهي ستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

الإيمان بالله -تعالى

الأول: أن تؤمن بالله -تعالى-، وهذا يقتضي أن تؤمن بإلوهيته، وأنه الإله الحق الذي وحده يستحق العبادةَ دون غيره؛ فتوحده إخلاصا، وصدقا، وإنابة، ودعاء، واستكانة، وتضرعا، وإخباتا، ومحبة، وخوفا، ورجاء، وتؤمن بربوبيته؛ فتفرده بأفعاله، وأنه الرب الملك المدبر الخالق الرازق، المتصرف في شؤون خلقه، وتؤمن بأسمائه وصفاته كلها، التي أثبتها في كتابه وسنة رسولهﷺ، دون تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تأويل، والإيمان اعتقاد وقول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

الإيمان باليوم الآخر يقتضي الاستعداد لهذا اليوم العظيم، بالعمل الصالح المتواصل حتى يموت المسلم على الطاعة

الإيمان بالنبيﷺ

الثاني: أن تؤمن برسولهﷺ -محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، خاتم الأنبياء والرسل-، وهذا يقتضي اتباعَه المطلق عقيدة وعبادة وأخلاقا وسلوكا .

الإيمان بالملائكة

الثالث: أن تؤمن بالملائكة، وهم خلقٌ خلقهم الله من نور، وهم ﴿عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾، وأفضلهم جبريل -أمين الوحي-، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وميكائيل الموكل بالمطر، وغيرهم من الملائكة الحفظة والكرام الكاتبين .

الإيمان بالكتب

الرابع: أن تؤمن بالكتب، وهي الكتب التي أنزلها -سبحانه- على رسله، وهي الزبورُ لداود، وصحفُ إبراهيم لإبراهيم، والتوراةُ لموسى، والإنجيلُ لعيسى، والقرآنُ لمحمد -عليه وعلى الأنبياء جميعهم أفضل الصلاة والسلام-. وأن تعتقد بأن القرآن ناسخٌ لهذه الكتب جميعها، وأنه يجب العملُ بما جاء فيه من أحكام .

الإيمان باليوم الآخر

الخامس: أن تؤمن باليوم الآخر، وهو يوم القيامة، حين يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين في أرض المحشر؛ فيحاسبهم الله -تعالى- على قدر أعمالهم، وهذا الإيمان باليوم الآخر يقتضي الاستعداد لهذا اليوم العظيم، بالعمل الصالح المتواصل حتى يموت المسلم على الطاعة، كما قال -سبحانه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:١٠٢).

الإيمان بالقدر

السادس: أن تؤمن بالقدر خيره وشره؛ فإذا قدر الله عليك قدرا، سواء كان مكروها أم محبوبا: وجب عليك التسليم وعدم الاعتراض، وأن تعلم بأنه خير لك، كما قال -سبحانه-: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢١٦)، وفي صحيح مسلم عن صهيب الروميرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنّ أمْرَه كُلَّهُ له خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمِنِ إنْ أصَابتهُ سَرّاءُ شَكَرَ؛ فكانَتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ».

الأصل الثالث

معرفة الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك، وهو أصل المراقبة؛ حيث تستحضرُ مراقبةَ الله -تعالى- لك في كل مكان وزمان، في البيت، والشارع، والسوق، والعمل، والحضر والسفر، فلا تقل ولا تسمع ولا تر إلا ما يرضي الرحمن -جل وعلا-، وهذه هي التقوى كما عرفها طلق بن حبيب بقوله: «أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله ترجو ثواب الله ، وتترك ما حرم الله على نور من الله، تخشى عقاب الله»، والتقوى هي السعادة الحقيقة.

الأصل الرابع

أن تتخلق بالأخلاق الحسنة التي أمر بها الشرع، وتترك الأخلاق السيئة التي نهى عنها الشرع ، وهذا هو سبيل دخول الجنة، ثبت في سنن الترمذي عن أبي هريرةرضي الله عنه، قال: سُئِلَ رسولُ اللَّهِﷺ عَنْ أَكثرِ مَا يُدْخِلُ النّاسَ الجَنّةَ، قَالَ: «تَقْوى اللّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وعن أبي الدرداءرضي الله عنه أن النبيﷺ قال: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ في مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ».

هذه هي الأصول الأربعة التي من حافظ عليها وعمل بها في نفسه اعتقادا وقولا وعملا؛ فقد أدى ما عليه، واتبع الدين على الوجه الصحيح، واتبع المنهج الرباني الذي أمر به الله -سبحانه-، وأمر به رسولهﷺ، وهو رأس مال المسلم. والدين رأس المال فاستمسك به؛ فضياعه من أكبر الخسران.



من مظاهر الوسطية
الاعتدالُ في الإنفاقِ واستهلاكِ الموارد

د. أحمد حمود الجسار

قال الله -تعالى- في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)؛ لقد جعل الله عباده وسطا معتدلين في دينهم ودنياهم، وجعل التوسط من صفاتهم؛ فالحمد لله الذي جعلنا أمةً وسطا، معتدلةً في كل شيء.

ومن مظاهر هذه الوسطية، الاعتدالُ في الإنفاقِ واستهلاكِ الموارد، فلا تقتير ولا إسراف، بل كما قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩)، وانتفاع بما أحله الله من طيبات الرزق التي مَنّ بها على عباده: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف: ٣٢).

الانتفاع بالطيبات

فننتفع بما أباحه الله لنا من الطيبات، ولكن دون الإسراف المذموم، كما أمرنا ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١)، وقد حذرنا ربنا كذلك من التبذير: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٦-٢٧)، ومن أوجه الفرق بين معاني الإسراف والتبذير، أن الإسراف هو الصرف على وجه واحد بطريقة زائدة عن الحاجة، وأما التبذير، فهو الصرف في كل اتجاه دون فائدة، وقيل: إن التبذير يكون بالمال، والإسراف يكون بصرف المال وفي غيره من الأعمال، وكلاهما مذموم.

حاجات الحياة

إن الإنسان في هذه الحياة محتاج -بلا شك- إلى ما يبقيه وينفعه، من مأكل ومشرب ومسكن وملبس، وغير ذلك من حاجات الحياة، وقد

الإسراف هو الصرف على وجه واحد بطريقة زائدة عن الحاجة، وأما التبذير، فهو الصرف في كل اتجاه دون فائدة

أنعم الله على عباده بأصناف النعم، وسخر الموارد لهم، قال -تعالى-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ١٣).

من رحمة الله بنا

ومن رحمة الله بنا أنه كلما عظمت حاجتنا إلى الشيء كان أكثرَ وفرةً، وأقلَّ كُلفةً، والحمد لله؛ فالطعامُ الأساسي من الأقوات يتوفر بكميات كبيرة، ويُنتجه الإنسانُ بأقلِّ التكاليف، والحاجةُ إلى الماء أشد؛ ولذلك فهو متوفرٌ أكثرَ من الطعام، أما الهواءُ الذي لا يستغني عنه الإنسانُ لحظات؛ فإن الله لم يجعله يُنتجُ ويباع ويشترى، بل هو مبذولٌ للجميع في كل مكان، والحمد لله، وهذه رحمةٌ من ربنا، ونِعَمٌ أسداها اللهُ لنا، تحتاج إلى تفكرٍ وتَذَكُّر، وإلى شكر لله -جل جلاله.

حاجة الناس للنعم

ولأن الناس مشتركون في حاجتهم لهذه النعم؛ فقد نهانا الله عن الإسرافِ في استهلاكها؛ فكلوا واشربوا من طيبات ما رزقكم الله، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك؛ فإن الله لا يحب المتجاوزين المسرفين، قال النبيﷺ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ»(رواه أحمد والنسائي، وابنُ ماجه). وهذا الأمرُ من النبيﷺ لنا جميعا؛ فكلنا مدعوون للاقتصادِ، وعدمِ الإسراف.

رسول اللهﷺ أسوةٌ حسنة

ولنا في رسول الله أسوةٌ حسنة؛ فقد كان أحرص الناس على كمال العمل، ومع ذلك توضأ بالمد (يعني حفنة من الماء)، وهو الحريص على إسباغ الوضوء، واغتسل بالصاع (وهو أربعةُ أمداد من الماء)، وهو أكمل الناس عبادةًﷺ، فلا إسراف في استعمال الماء ولا في أكل ولا شرب ولا ملبس، بل اقتصادٌ تنمو معه الحياة، وينعم الناس بما أنعم الله به على عباده فيها.

من رحمة الله بنا أنه كلما عظمت حاجتنا إلى الشيء كان أكثرَ وفرةً، وأقلَّ كُلفةً، والحمد لله

نحن وإن كنا نعيش في رغد من العيش والحمد لله، إلا أن الاقتصاد مطلوب، لاسيما أننا نتمتع بالخدمات الأساسية المدعومةِ دعما كبيرا في هذا البلد الطيب بفضل الله -تعالى- ورحمته؛ فإن الماء الذي يصل إلى بيوتنا عذبا ندفع أقلَّ من ثُلُث تكلفةِ إنتاجه وإيصاله إلينا، وتتحمل الميزانيةُ العامةُ للدولة الثلثين، وهذه الكهرباء، النعمةُ العظيمةُ التي تصل إلى بيوتنا، وتنيرُها، وتبردُها، وتشغلُ الأجهزةَ المختلفة فيها، ندفع عُشْرَ تكلفة إنتاجها، وتتحمل الميزانيةُ العامةُ التسعينَ بالمائة الباقية.

شكر النعم

ألا ينبغي لنا في ظل هذه النعم أن نشكرها وأن نحرص على ترشيد استهلاكنا لها، لكي تدومَ لنا ولمن بعدنا -بإذن الله تعالى-؟؛ فالمرجو من الجميع، أن يتعاونوا على حفظ هذه النعم، والاقتصاد في استهلاكها؛ فلا يجوز الإسرافُ في أي شيء، ويكفي في الزجر عن ذلك أن الله لا يحب من يفعل ذلك: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١)، ونهى النبيﷺ عن إضاعة الموارد، وبيَّن أن الله يكره ذلك؛ فقالﷺ: «إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ» (متفق عليه).

الناس مشتركون في حاجتهم لهذه النعم؛ فقد نهانا الله عن الإسرافِ في استهلاكها

استغلال الموارد

فالاقتصاد في استغلال الموارد، هو من شكر هذه النعم الموعود بالمزيد، قال اللهُ في كتابه المجيد: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧).

الاعتدال في كل شيء

ولا شك أن موضوع الاعتدال يتعلق بكل شيء، بالمأكل والمشرب، وباستهلاك الماء والكهرباء، وباستعمال الملابس والمراكب، فلا إفراط ولا تفريط، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩)؛ فديننا عظيم، منهجه وسط قويم، يدعونا إلى الاعتدال في الحياة، فاتقوا اللهَ ذا الجلال، وحافظوا على النعمةِ من الزوالِ، واعملوا فيها بالحلال.

فنسأل الله بأسمائه الحسنى وبصفاته العلا، أن يديم علينا نعمه وفضله، وأن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين، والحمد لله رب العالمين.

خطبة حجة الوداع
أحسن الخطب وأوفاها بياناً وأتمها نصحاً

الشيخ: عبدالرزاق عبد المحسن البدر

إن أحسن الخطب وأوفاها بياناً وأتمها نصحاً خطبُ نبينا الكريم -صلى الله عليه وسلم- فقد جمع الله له في خطبه المنيفة جمال البيان وحسن الإفهام وقلة ألفاظ الكلام، بل ما سمع قط كلامُ أحد من البشر أعمُّ نفعاً، ولا أفصح معنى، ولا أصدق لفظاً، ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أوفى نصحاً من كلامه الشريف -صلى الله عليه وسلم-، وقد آتاه الله جوامع الكلم وخصه ببدائع الحكم، كما في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «بعثت بجوامع الكلم».

قال الزهري -رحمه الله-: «جوامع الكلم فيما بلغنا أن الله يجمع له الأمورَ الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك».

خطبه -صلى الله عليه وسلم-

ومن يتأمل خطبه -صلوات الله وسلامه عليه- يجدُ فيها الوفاء والنصح والبيان، وكان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجةُ المخاطبين ومصلحتُهم، إلاّ أنها في الجملة كان مدارُها على حمد الله والثناء عليه بآلائه وأوصاف كماله ومحامده وتعليم قواعد الإسلام وذكرِ الجنة والنار والمعاد والأمر بتقوى الله وتبيين موارد غضبه ومواقع رضاه.

فرصة ثمينة

والحج مناسبة كريمة وفرصة ثمينة للنصح والتوجيه والوعظ والتنبيه والتعليم والإرشاد؛ إذ القلوب فيه مقبلة، والنفوس مطمئنة، والرغبة في الخير شديدة؛ فحريٌّ بالدعاة إلى الله -تعالى- أن تتضافر جهودهم وتتوافر هممهم في هذا الموسم المبارك نصحاً وتعليماً وإرشاداً وتوجيهاً مقتفين آثار نبيهم الكريم مهتدين بهديه القويم، وأن يكون مرتكزُ كلامهم ما دعا إليه ومحورُ نصحهم وبيانهم ما أرشد إليه؛ إذ هو -عليه الصلاة والسلام- أنصحُ الناس للناس، بل هو قدوة الناصحين وإمام المرشدين {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب:٢١).

شأنٌ عظيم

وقد كان لخطب النبي -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع على وجه الخصوص شأنٌ عظيم؛

الحج مناسبة كريمة وفرصة ثمينة للنصح والتوجيه والوعظ والتنبيه والتعليم والإرشاد

من يتأمل خطبه -صلوات الله وسلامه عليه- يجدُ فيها الوفاء والنصح والبيان، وكان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم

كان لخطبة النبي ﷺ في حجة الوداع شأنٌ عظيم؛ إذ هي وصية مودع، والمودع يستقصي ما لا يستقصي غيرُهُ في القول والفعل

إذ هي وصية مودع، والمودع يستقصي ما لا يستقصي غيرُهُ في القول والفعل، وقد عرّض في خطبته في حجة الوداع بذلك فقال: «فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»، وطفق يودّع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع. ولهذا قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في شأن هذه الخطبة: «فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته -ﷺ- إلى أمته» رواه البخاري.

أهمية هذه الخطبة

ويدل على أهمية هذه الخطبة وعظيم شأنها أمورٌ عديدة منها:

أولاً: أن النبي -ﷺ- ودع الناس على إثرها؛ فهي وصية مودع كما سبق إيضاح ذلك.

استنصت الناس

ثانياً: أن النبي -ﷺ- استنصت الناس أي طلب منهم أن ينصتوا، ففي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال له في حجة الوداع: «استنصت الناس». مما يدل على أهمية الأمر؛ حيث إن الخطبة لما كانت مشتملة على صلاح الناس وسعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ناسب أن يأمرهم بالإنصات الذي يؤثر فيهم العلمَ والانتفاع ومن ثم العملَ والارتفاع. وقد نُقل عن سفيانَ الثوريِّ وغيرِه أنه قال: «أولُ العلم الاستماع ثم الإنصات ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر».

إسماع الناس

ثالثاً: أن النبي -ﷺ- كان في خطبته تلك يتطاول من أجل إسماع الناس، ففي المسند عن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- قال: «سمعت رسول الله -ﷺ- يخطب الناس في حجة الوداع وهو على الجدعاء واضع رجله في غَراز الرحل يتطاول يقول ألا تسمعون».

فتح أسماع الناس

رابعاً: أن الله -عز وجل- فتح أسماع الناس في ذلك اليوم فكانوا يسمعون كلامه -ﷺ- وهم في منازلهم؛ ففي سنن النسائي عن عبد الرحمن بن معاذ -رضي الله عنه- قال: «خطبنا رسول الله -ﷺ- بمنى ففتح الله أسماعنا، حتى إنْ كنّا لنسمعُ ما يقول ونحن في منازلنا».

عليٌّ رضي الله عنه يُعبِّر عن النبي ﷺ

خامساً: أنه -ﷺ- اتخذ من يبلغ عنه، ففي سنن أبي داود عن رافع بن عمرو المزني قال: «رأيت رسول الله -ﷺ- يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء، وعليٌّ -رضي الله عنه- يعبّر عنه، والناس بين قاعد وقائم»، وقوله: «وعليٌّ -رضي الله عنه- يعبر عنه» من التعبير، أي: يبلّغ حديثه مَنْ هو بعيدٌ من النبي -ﷺ-.

الله -عز وجل- فتح أسماع الناس في ذلك اليوم فكانوا يسمعون كلامه ﷺ وهم في منازلهم

ألا هل بلّغت؟

سادساً: قوله -ﷺ- في الخطبة: «ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد» وتكراره لذلك.

فليبلغ الشاهد الغائب

سابعاً: أمرُهم بأن يبلغ الشاهدُ منهم الغائب، ففي حديث أبي بكرة -رضي الله عنه- في الصحيحين قال عليه الصلاة والسلام: «فليبلغ الشاهد الغائب؛ فرب مبلَّغ أوعى من سامع».

أسلوب الحض والتنبيه

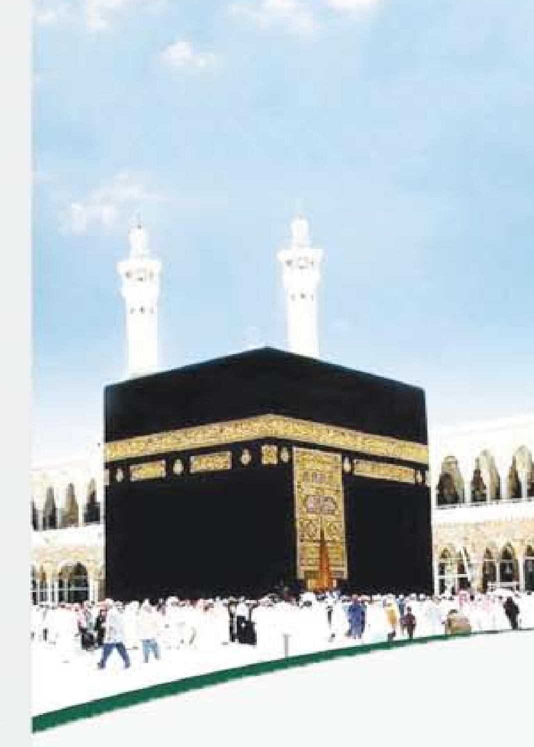
ثامناً: استعماله -ﷺ- في خطبته أسلوب الحض والتنبيه وشدِّ الانتباه «ألا هل بلغت»، «ألا ليبلغ الشاهد الغائب»، «ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، وتَكرّر مثلُ هذا في مواضع من خطبته. وكذلك أساليبُ التوكيد كقوله: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»، وفي هذا ما فيه من الاهتمام وتقويةِ الكلام وتثبيته في أذهان سامعيه.

دلالات مباركة

تاسعاً: التأمل في مضامين هذه الخطبة العظيمة ودلالاتها المباركة؛ حيث قرر فيها -صلوات الله وسلامه عليه- قواعد الملة الحنيفية، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية، وقرر فيها تحريم المحرمات التي اتفقت الملل على تحريمها إلى غير ذلك من المضامين العظيمة التي اشتملت عليها خطبته، مما سنقف على جملته من خلال هذه الرسالة بإذن الله -عز وجل.

العناية بها

فكل ذلك يدل دلالة واضحة على أهمية شأن خطبة النبي -ﷺ- في حجة الوداع وأهمية العناية بها، وأن الحاجة ماسة إلى معرفتها في حق كل مسلم صغير أو كبير ذكر أو أنثى. رزقنا الله البصيرة بسنته والاهتداء بهديه.



وقفات تربوية من مدرسة الحج

أ.د. خالد المشيقح

فيما تغمر العالم الإسلامي فرحة أيام الحج ومناسكه التي شرعها الله -سبحانه وتعالى- تطهيراً ورحمة لعباده، تنطق الأقلام، وتسطر الحناجر، وقفات إيمانية وروحية وعلمية وتربوية وجهادية، تنهل من مدرسة الحج نماذج وأفكارا وعبرا كثيرة؛ فلا يوجد في الدين الإسلامي ركن أو نهج أو عمل، إلا وكانت حكمة عظيمة وراءه، دبرها العزيز المنان، وكشف بعضاً منها لأولي العلم من الناس، يتدبرون فيها عظمة الخالق وجبروت مالك الملك، ورحمة الرحمن الرحيم.

دروس لا تنتهي

ومن هذه الوقفات التربوية التي كتبت الكثير من الأقلام عنها دون أن تستطيع الإحاطة بأقل قليلها، أو تحديد معانيها ومرامها، ما يحدد الأستاذ فهد الجهني بالقول: لعلنا نقف مع بعض الدروس والعبر التي نتعلمها في مدرسة الحج، وإن شئت فقل (جامعة الحج)، ولسنا نقصد الحصر ولا العد، إنما هي إشارات وإضاءات، تبين روح الإسلام وعظمته.

توحيد الله -عزوجل

من أوائل الدروس التربوية للحج تتجلى في العناية بالتوحيد وبيان أهميته، وأن الحكمة من بناء البيت إنما هي توحيد الله –جلّ وعلا– وجُعل قصدُ الناس إليه من أرجاءِ المعمورة لإذكاءِ شعيرة توحيد العبادة وخلوصها لله –سبحانه– لا شريكَ له، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(الحج:٢٦)، والمتأمل للأعمال والأذكار التي يقوم بها الحاج خلال رحلة الحج يجد أنه يلهج بتوحيد الله –عزوجل– من أول منسكه إلى نهايته لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك، كما في حديث جابرﷺ في وصف حجة النبيﷺ، قال: «فأهل بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك» رواه مسلم .

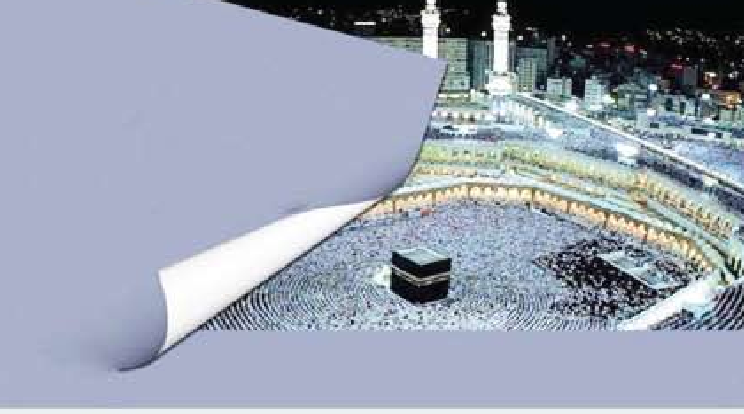
الاقتداء و التأسي بالنبيﷺ

كذلك فمدرسة الحج تربي الفرد والمجتمع المسلم على الاقتداء بالنبيﷺ؛ فالحاج يربي نفسه على متابعة هدي النبيﷺ في شؤون الحياة جميعها؛ فإن متابعة الحاج لهدي النبيﷺ في مناسك الحج استجابة لقولهﷺ: «خذوا عني مناسككم»، تربية للحاج أن يلتزم هدي النبيﷺ فيما يأتي وما يذر، وذلك هو بداية الانطلاقة للتأسي بالنبيﷺ، وقد قال الله –تعالى–: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾؛ فمدرسة الحج تربي المسلم على أن الخير له والفلاح في العودة إلى هدي النبوة هدي محمدﷺ.

وأمة الإسلام اليوم في أمس الحاجة إلى أن تعود إلى إرث محمدﷺ لتستعيد عزها و مجدها المفقود

الوحدة والاجتماع واتحاد الصف

من أعظم هذه المعاني وضرورتها ودورها في نهضة الأمة، وهي واضحة جلية في شعيرة الحج؛ فالمسلمون يأتون من كل صوب وحدب، وهم مختلفون في بلدانهم، وألوانهم، ولغاتهم، وأسمائهم، لكنهم اجتمعوا واتحدوا وتوافقوا زماناً ومكاناً ظاهراً وباطناً في الحج، وهم مع ذلك اتحدوا باطناً؛ بحيث لو سألت أي حاج لِمَ قدمت إلى الحج؟ لَما تردد وأجابك بأنه قدم طاعة لله –عزوجل– وطمعاً في عفوه ورحمته، والله –تعالى– يقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (البقرة: ١٩٩)؛ لتكون أفعال الحج واحدة، ومظاهر الوحدة والاجتماع بين الحجاج في المناسك ظاهرة لا حاجة لتفصيلها، إذاً لو لم يكن في الحج إلا هذه الفائدة وهذا الدرس نتعلمه ونرجع



في أيام الحج تظهر أجمل معاني الأخوّة وأروعها، ونكون كما أخبر المصطفى ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً»

به إلى أوطاننا لكفى -والله- ولكان له الأثر الواضح والنقلة النوعية نحو سمو الأمة الإسلامية وعزها.

تيسيراً لا تعسيراً

اليسر والسهولة ورفع المشقة سمة من سمات دين الإسلام، وتظهر صور ذلك بينة في الحج؛ ففي الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما وقف النبي ﷺ في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه. قال: فما سئل النبي ﷺ عن شيء قدّم ولا أخّر إلا قال: افعل ولا حرج، وكذلك الرخصة لذوي الأعذار كما أذن النبي ﷺ للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته، والإذن للضعفة من النساء والصبيان بالإفاضة من مزدلفة ليلاً، ورمي جمرة العقبة قبل وقتها، وغير ذلك من شواهد التيسير، والبعد عن التعسير على الحجاج.

التنظيم والانضباط والجدية

إن من أوضح ما يراه من يتأمل في الحج، ذلك التنظيم الدقيق، وإلزام الحاج بالانضباط والجدية؛ فمن بداية رحلة الحج المباركة إلى نهايتها، نجد حدوداً واضحة مكانية وزمانية؛ فالحدود المكانية هي مواقيت الحج المحددة، التي لا يجوز تجاوزها لمن أراد الحج من غير أهل مكة، وكذلك أماكن الطواف والسعي وغيرها، أما الحدود الزمانية؛ مما حدد من المناسك بوقت معين، كالوقوف بعرفة، والخروج منها، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمار، وغير ذلك، ومن التنظيم الملاحظ في الحج، إلزام الجميع لباساً واحداً له صفة معينة، وكذا بيان المحظورات التي تخل بالإحرام، كل هذه حدود من الشارع -عزوجل- ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(البقرة: ٢٢٩)، وقال -تعالى-: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (الطلاق: ١).

ذاتية التربية والمراقبة

هذه المعاني نجدها متمثلة في مشاعر الحج، بل إن الله -تعالى- أمر بالتقوى في سياق آيات الحج؛ فقال -تعالى-: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾(البقرة: ١٩٧)؛ مما يحمل المسلم الحاج على مراقبة الله العظيم مراقبة ذاتية داخلية من قبل النفس؛ فكل عمل يعمله يعلمه الله وقد نهاه الله -عزوجل- عن الرفث والفسوق والجدال تربية وتهذيباً لسلوكه ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ١٩٧)؛ فمن بداية الحج إلى تمامه والمسلم يراقب الله -تعالى- ويلزم التقوى؛ فيكون قصده لله وحجه وحبه ورجاؤه وخوفه وذله ودعاؤه وتضرعه كله لله -تعالى-؛ فإذا لبس إحرامه، جعل من ذاته رقيباً ينبهه ويذكره علم الله واطلاعه، فلا يقترب من محظورات الإحرام، وإن وقع منه خطأ؛ فإنه يكفر عن هذا المحظور بما ورد، والله أعلم به، وإن كان في الطواف ووقع شيء من الزحام مع هذه الألوف من الرجال والنساء؛ فيراقب بصره عن رؤية ما لا يحل له، وينأ بنفسه عن الحرام، ويحفظ قلبه وسمعه وبصره ولسانه في الحج، حفاظاً على نسكه، وطمعاً في قبول عبادته، وهكذا في كل مناسك الحج، وفي ذلك كما لا يخفى تربية للنفس وارتقاء بها وتزكية وتطهير لها، وإنه -والله- لدرس ما أجَلّه وأعظمه لو تأمله واستفاد منه الحاج وعممه وطبقه على باقي حياته.

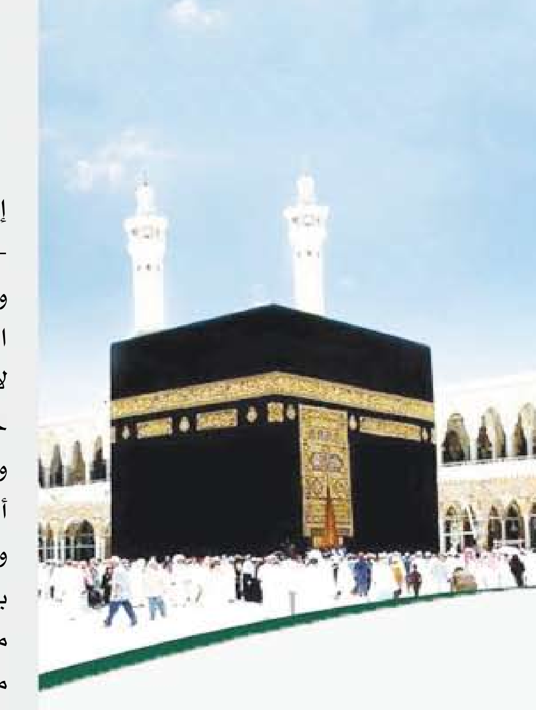
أوائل الدروس التربوية للحج تتجلى في العناية بالتوحيد وبيان أهميته، وأن الحكمة من بناء البيت إنما هي توحيد الله -جلّ وعلا

التآلف والتعارف بين المسلمين

ما أجمل الحج عندما تتعرف إلى أحد إخوانك المسلمين من بقاع الأرض الأخرى؛ فتعرف أحواله وتحبه ويحبك، ثم أنت وإياه تساعدان وتعينان إخوانكم، ويعطف بعضنا على بعض، لا رابط يجمعنا، لا نسب، ولا وطن، ولا تراب، ولا مال، ولا شيء إلا الإسلام، نعم هنا في أيام الحج تظهر أجمل معاني الأخوّة وأروعها، ونكون كما أخبر المصطفى ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً».

تكريم المرأة وصيانتها

المرأة، وما أدراك ما المرأة؟ اتخذها مَن في قلبه مرض، طريقاً لمقاصدهم الضالة، وسلماً لأمنياتهم المشبوهة في



إفساد المجتمع، وتغريب الأمة؛ فزعموا -جاهلين أو متجاهلين- ظلم المرأة وإهانتها، وبخسها حقوقها وحريتها في المجتمع المسلم، وإنا نقول بأعلى الأصوات: لا يوجد دين أو ملة أو قانون أعطى المرأة حقوقها وكرمها ورفعها وصانها إلا الإسلام ولا فخر، حتى تمنى بعض نساء الغرب أن يعشن حياة المرأة المسلمة في مكانتها وعفتها وسعادتها، بتربية أبنائها وعزها بحجابها؛ لما قاست المرأة الغربية الكافرة من ظلم وإهانة واحتقار، وفي الحج صور متعددة من تكريم المرأة ورعايتها وصيانتها؛ فعندما قام ذلك الرجل، وقال: يا رسول الله اكتتبت في غزوة كذا وكذا وخرجت امرأتي حاجة؟ فقال رسول اللهﷺ: «اذهب فحج مع امرأتك».

ولما لم يلزم الإسلام المرأة بالجهاد حفاظاً عليها وتقديراً لضعفها أبدلها الله مكانه الحج والعمرة؛ فعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: قلت: يا رسول الله، على النساء جهاد؟ قال: «نعم عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة» رواه أحمد وابن ماجة، وتأمل معي – أخي الكريم – ما ورد في الحديث المتفق عليه أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «دخل عليَّ رسول اللهﷺ وأنا أبكي، فقال: ما يبكيك يا هنتاه؟ قلت: سمعت قولك لأصحابك؛ فمنعت العمرة، قال: وما شأنك؟ قلت: لا أصلي، قال: فلا يضيرك! إنما أنت امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن؛ فكوني في حجتك فعسى الله أن يرزقكيها».

أليس في هذا تكريم للمرأة وسؤال عن حالها وتطييب لخاطرها واهتمام بشؤونها ويا ليت قومي يعلمون هذا! ليتهم يدركون ما في الالتزام بمنهج الإسلام في التعامل مع المرأة ورعايتها في كنفه، من حفاظ على أخلاقيات المجتمع، وصيانة للأمة من كل أنواع الفساد الاجتماعي، والتربوي، والأخلاقي، الذي يعيشه العالم المادي اليوم، ونراه عياناً هنا وهناك.

التسامح والعفو وسلامة الصدر

عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه». رواه البخاري ومسلم، وما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وفي هذا بيان عظم عفو الله ورحمته وكمال جوده وكرمه مع قاصدي حرمه وحجاج بيته، وفي هذه الأيام المباركات تنزل الرحمات، وتعظم البركات، ويعفى عن السيئات من لدن الغفور الرحيم، العفو الكريم، البر الحليم؛ فهل نستفيد من الحج بأن نرجع متسامحين عافين عن الناس، صدورنا سليمة، قلوبنا طاهرة من كل غل على المسلمين؛ فأسامح جميع إخواني، وأعفو عمن أساء إليّ، وأحمل خطأ الآخرين المحمل الحسن، وأطهر قلبي من أي حقد أو حسد، أو ضغينة، أو كراهية، كل ذلك رجاءً وطمعاً في أن يغفر الله لي، ويعفو عني وهو أرحم الراحمين و«إنما يرحم الله من عباده الرحماء».

تربية النفس وترويضها على الصبر

من أظهر الدروس التي تتضح بجلاء في مدرسة الحج، التربية على الصبر، وتحمل المشاق في سبيل مرضاة الله قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٣)، والصبر من خير ما يوفق له المؤمن؛ فعن أبي سعيد الخدري، قال: قالﷺ: «ما أُعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصَّبر» رواه الخمسة، وقال عمر بن الخطابرضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»، وقال علي بن أبي طالبرضي الله عنه: «الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو»، وقال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: «إن الله -سبحانه- جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وجنداً لا يهزم، وحصن حصيناً لا يهدم ولا يثلم".

اليسر والسهولة ورفع المشقة سمة من سمات دين الإسلام، وتظهر صور ذلك بينة في الحج

من أظهر الدروس التي تتضح بجلاء في مدرسة الحج، التربية على الصبر، وتحمل المشاق في سبيل مرضاة الله



فقه الترخص وتطبيقاته في باب الحج

الشيخ: عبد المنعم الشحات

إن السنة وسط بين الغالي والجافي، وهذا يصدق في باب الاعتقاد كما يصدق في باب العمليات ومن أكثر الأبواب التي تفرق الناس فيها عن السنة بين غال وجاف باب الرخص، لاسيما في الحج الذي يخرجه التوسع في الرخص عن كونه عبادة، يشعث العبد فيها بدنه، ويغبر قدمه إلى رحلة ترفيهية لا تعمل في القلب أثرها المقصود، كما أن مجافاة الرخص فيها تحوله إلى ساحة عراك وشجار وتضييع لحرمات المؤمنين؛ مما يخرجه عن مقصوده من وحدة الأمة واجتماعها؛ ولذلك كانت هذه المحاولة لفهم باب الرخصة وتطبيقه على رخص الحج.

تعريف العزيمة

يعرف علماء الأصول العزيمة بأنها شرعت ابتداء، والرخصة ما شرعت إلا بسبب قيام مسوغ لتخلف الحكم الأصلي، وهي تشمل نسخ الحكم الشديد إلى الأخف في حق الأمة على الراجح. ومن ثم يقال على المسح على الخفين: إنه رخصة مع أنه مشروع للمقيم والمسافر، ويقال عن نسخ الأضحية من الوجوب إلى الاستحباب: إنه رخصة وهكذا، ومن هذا في باب الحج الجمع بين الحج والعمرة في سفر واحد على هيئة التمتع أو القران؛ فيسمى رخصة للتسهيل فيه من إجراء أعمال واحدة عن عبادتين، كما أن الرخصة تأتي بسبب الضرورة ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾(البقرة: ١٧٣)، وهذه تحتاج إلى فتوى عالم بالشرع وبالواقع لكي يفتي بأن حالة ما ضرورة، أو أنها ليست كذلك، وكان الشيخ الألباني - رحمه الله- كثيرا ما يقول: «لقد حفظ الناس قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات)، ولم يحفظوا معها القاعدة الأخرى التي تضبطها وهي (الضرورة تقدر بقدرها).

الرخصة تأتي بسبب الحاجة

كما أن الرخصة تأتي بسبب الحاجة، وقد وردت كثير من النصوص الشرعية بالتيسير في مواطن لا تبلغ مبلغ الضرورة، وبين الله هذا الأصل من أصول التشريع بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(الحج: ٧٨)، ومن أمثلة ذلك الفطر والجمع والقصر في السفر، ومن المعلوم أنه لا يبلغ مبلغ الضرورة.

الرخصة والضرورة

وقد جفا كثير من الناس في هذه الرخص؛ فأرادوا أن يقصروا الرخصة فيها على حال الضرورة، وكان هذا سيصح لو لم ترد النصوص المصرحة باعتبار هذه الحاجة، ومعظم رخص الحج من باب رخص الحاجات، من الترخيص للضعفاء بالدفع من مزدلفة قبل الفجر، ومن عدم اشتراط الترتيب في أعمال يوم النحر مع أن الأصل وجوبه لقوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم»(رواه مسلم)، وهذه الرخص ما كان فيها منصوصا عليه؛ فلا خلاف في العمل به، ولكن هل يمكن أن يقاس عليه غيره أم لا؟

مواطن الرخص

نظر العلماء في المواطن التي وردت فيها الرخص من أجل مصالح حاجية؛ فوجدوا أنها عامة، يحتاجها عدد كبير من المكلفين -إن لم يكن كلهم- كرخص السفر، ورخص الحج، وبيع السلم، وبيع العرايا، ونظر الخاطب للمخطوبة، وتضبيب الإناء المكسور بالفضة مع وجود غيره، ومن هنا استنبط العلماء قاعدة (أن الحاجات عند عموم البلوى بها تنزل منزلة الضرورة)، وإذا طبقنا هذه على الأمثلة المنصوص عليها، ولنأخذ على سبيل المثال نظر الخاطب إلى المخطوبة؛ فالأصل هو حرمة النظر إلى الأجنبية، ولولا ورود الدليل

على جواز النظر من أجل الحاجة، لم يكن لقائل أن يجيز النظر إلى المخطوبة من أجل الخطبة لكونها لا ترقى إلى درجة الضرورة، ولكن بالنظر إلى أن عامة الناس يحتاجون إلى النكاح، وأن الزواج بغير نظر سابق يعرضه إلى الفشل بنسبة كبيرة؛ مما يعرض المجتمع كله إلى حالة من الضيق تساوي حالة الضرورة أو ربما زادت؛ ولذلك قال ﷺ: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»(رواه الترمذي وصححه الألباني)، ومعلوم أن هذا عام في حق كل خاطب ومخطوبة، ومقتضى كلام أهل العلم هنا، أن هذه الحاجة بعينها لو لم تعم البلوى بها -بمعنى احتياج عامة المكلفين لها-؛ لما جاز الترخص بسببها.

فعل المنهيات من أجل الحاجات

وهناك ضابط آخر في مسألة الترخيص في فعل المنهيات من أجل الحاجات، وهي التي يعبر عنها العلماء بقولهم: «ما حرم سدا للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة»؛ مما يعني أن المحرمات لذاتها لا تباح إلا للضرورة والمحرمات لغيرها تباح للمصلحة الراجحة (الحاجة) التي عمت بها البلوى، ومثاله في المنصوص عليه ربا النسيئة؛ فهو محرم لذاته، فلم تلحق به أي رخصة في الشرع، إلا أن يتعرض مكلف بعينه إلى حالة ضرورة، حينئذ يقدرها أهل العلم بقدرها، وأما ربا الفضل فهو محرم سدا للذريعة؛ لأنه يؤدي إلى ربا النسيئة؛ فأجاز الشرع بعض صوره وهي بيع العرايا بقيود خاصة لعموم حاجة الفقراء لها، ودخل معهم الأغنياء تبعا.

ضبط الحاجة

وفي هذه الرخص المباحة للحاجة -سواء المنصوص عليها أم التي توصل إليها بالنظر والاجتهاد- يجب ضبط الحاجة التي علق الشرع عليها الرخصة أو التي أدى النظر إلى اعتبارها؛ فلا يجوز مثلا أن يمكن الخاطب من رؤية مخطوبة مع غلبة الظن

العزيمة شرعت ابتداء، والرخصة ما شرعت إلا بسبب قيام مسوغ لتخلف الحكم الأصلي، وهي تشمل نسخ الحكم الشديد إلى الأخف في حق الأمة على الراجح

باب الرخص لاسيما في الحج، هو أكثر الأبواب حاجة للتوسط والقصد والاعتدال؛ لأنه من أكثر الأبواب التي ينتهي الإفراط في التيسير فيها إلى تعسير

بوجود موانع أخرى من إتمام الخطبة، بل يجب استقصاء هذه الموانع أولا، ولا يجوز للخاطب أن يطلب تكرار النظر إذا كان قد حسم أمره سلبا أو إيجابا، بينما يجوز أن يطلبه إن كان ما زال محتاجا لذلك، ويجوز تمكينه من هذا إن غلب على الظن عدم تلاعبه، واعلم أن الرخصة متى كان في الأخذ بها ممن لا يستحقها ضرر على غيره، أو تفويت مصلحة عامة للأمة اقتضى ذلك مزيد من التثبت في مدى استحقاق المرء لها، ومن ذلك رخصة القعود عن الجهاد متى توسع فيها الناس فأخذ بها من ليس من أهلها، كان هذا تضييعا لمصالح الأمة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (التوبة:٤٩)، ورخصة سؤال الناس؛ فمتى توسع كل محتاج بأي نوع من الحاجات في سؤال الناس عاد هذا بالجهد على المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافا، وهذا أمر نراه واقعا في زماننا؛ ولذلك حرَّج النبي ﷺ على من جاءا يسألانه وليس عليهما أثر الفاقة فقال: «إن شئتما أعطيتكما، ولكن اعلما أنه لا تحل لغني ولا لذي مرة سوي»(رواه أبوداود وصححه الألباني).

أمثلة الرخص في الحج

ومن أمثلته في الحج – وهذا مما غفل عنه كثير ممن يتبنون إشاعة الرخص في الحج لمنع الحوادث التي تقع فيه- أن رخصة الدفع من مزدلفة قبل فجر يوم النحر هي رخصة خاصة للضعفاء لكي يسبقوا سائر الحجيج في أعمال يوم النحر بقريب من اثنتي عشرة ساعة، يتمكنون فيها من رمي جمرة العقبة الكبرى، والذبح، والحلق، أو التقصير، ثم إتيان مكة لطواف الإفاضة، كل هذا دون أن يزاحمهم الأقوياء؛ فلما توسع الناس في الأخذ بهذه الرخصة قويهم وضعيفهم، ضاع معناها، وهضم حق الضعفاء في وقت خصه الشرع لهم دون غيرهم، وكذلك فتح باب التوكيل في رمي الجمار، والأصل فيه أنه للضعيف الذي يعجز عن الرمي، لا في النهار ولا في الليل فيوكل؛ فلما توسع المفتون في القول بجواز التوكيل، صارت الرحلات الفاخرة تؤجر راميا يذهب ليرمي عن عشرات من الناس، وصار هؤلاء الرماة المحترفون يحتلون المواقع المميزة للرمي الأوقات الطويلة، محتجزين الحجيج الحقيقيين وراءهم، ورحم الله زمانا كنا نتندر فيه على هؤلاء وعلى من أفتاهم بهذه الفتاوى التي كانت في عرف كل دارس لفقه الكتاب والسنة من الترخص الجافي؛ فإذا بنا نفاجأ ولأجل حدوث حوادث، معظمها راجع إلى قصور بشري في تنظيم توافد الحجيج على الجمرات، ببعض من ينتسب إلى السنة ينادي بفتح باب الرخص على مصراعيه، رغم أنه يؤدي إلى ظلم الضعفاء على النحو الذي ذكرنا.

العسر والمشقة

أضف إلى ذلك العسر والمشقة الناجمة

نظر العلماء في المواطن التي وردت فيها الرخص من أجل مصالح حاجية؛ فوجدوا أنها عامة، يحتاجها عدد كبير من المكلفين

الرخصة تأتي بسبب الحاجة، وقد وردت كثير من النصوص الشرعية بالتيسير في مواطن لا تبلغ مبلغ الضرورة

عن الإسراف في الرخصة؛ فكم من سائل يسأل بعد رجوعه إلى بلده من أنه قد وكله عدد كذا من الضعفاء فقبل الوكالة ثم تأخر في الرمي؛ فعاد إليهم ينفض يده من هذه الوكالة فلم يجدهم، وعاد إلى بلده؛ فعلى من تكون الفدية؟

الصفات الفضلى في العبادات

ومما يقرب من ذلك إهمال كثير من المفتين لبيان الصفات الفضلى في العبادات، مع أن بيانها مطلوب نصيحة لمن أراد الأكمل؛ ولأنه يمكن أن يكون بابا من أبواب التيسير لا العكس، ومثاله في الحج فضيلة طواف الإفاضة في يوم العيد مع بيان جواز تأخيره، وفضيلة رمي الجمرات بالنهار ورمي جمرات كل يوم في موعده على الرغم من جواز التأخير؛ فصار كثير ممن يتكلم في هذه المسألة، يهمل الترغيب في الحرص على الوجه الأكمل لمن استطاع، على الرغم من أنه لو حرص من لديه القدرة على فعل هذه العبادات أول وقتها، لكان ذلك أرفق بغيرهم. ومن رأى الزحام الشديد على الرمي في الليل، لعلم أنه لو وجد الترغيب الكافي في أن يدرك من استطاع الرمي في أول وقته، لكان في هذا إفساح المجال لغيرهم بالليل.

أنواع الرخص الشرعية

فحصل من ذلك أن الرخص الشرعية ثلاث أنواع:

الأول: تخفيف بعض الأحكام على الرغم من قيام مقتضيها، وغني عن الذكر أن هذا القسم لا يقاس عليه.

الثاني: رخص الضرورات وبعضها منصوص عليه، مع بقاء القاعدة عامة تقبل التطبيق على وقائع أخرى، بشرط أهلية المطبق ومعرفته بحدود الضرورة الشرعية.

الثالث: رخص الحاجات وبعضها منصوص عليه، ويمكن القياس عليه بالضوابط المشار إليها آنفا من عموم البلوى وكون حكمة النهي الأصلي كان من باب سد الذرائع.

مفهوم الرخصة الشرعية

هذا وقد خلط بعضهم بين مفهوم الرخصة الشرعية وبين تتبع أسهل أقوال العلماء في المسائل الخلافية المعروفة بمسألة تتبع رخص المذاهب، وحاصل ذلك أن العلماء متى اختلفوا في ترخيص الشارع في مسألة أو عدمه؛ فما زال الواجب على المكلف أن يجتهد في معرفة حكم الله لا حكم غيره، وكل مكلف بحسب قدرته على فهم الأدلة؛ فمتى استبان له الدليل أن العالم الذي قال بالرخصة أخطأ أو وهم؛ فكيف يمكن له أن يترخص برخصة يعلم أن الله لم يأذن بها، وأن القائل بها قد أخطأ في نسبة هذا للشرع؟

مراعاة تغير الزمان والمكان

وأما ما ورد عن بعض المحققين من الاستفادة من اختلاف العلماء في مراعاة تغير الزمان والمكان، وهذا يكون في مسائل يسيرة بنيت على الواقع، كاختلافهم في أقل الحيض وأكثره مثلا؛ فعلمنا من كلامهم أنهم ردوه إلى الإحصاء الطبي في واقعهم؛ فكذلك يمكن أن نفعل نحن، ومن ذلك مسألة هل تحيض الحامل؟ فظاهر الدليل في قوله ﷺ في السبي: «لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة»(رواه أبوداود وصححه الألباني) أن الحامل لا تحيض؛ ولما وجد بعض الفقهاء أن بعض النساء يذكرن أنهن يحضن وهن حوامل أوَّلوا الحديث، بينما قال بظاهره آخرون، ثم جاء الطب الحديث ليؤكد ما دل عليه ظاهر الحديث، وأن الدماء التي تنزل على الحامل مع استقرار حملها دم علة وفساد؛ مما يفرض أخذ هذه المعلومات بعين الاعتبار حين إعادة بحث المسألة.

المسائل المبنية على الاستحسان

كما أنه يرد ذلك في المسائل التي مبناها على الاستحسان، وهو التردد في قياس فرع على أصلين مختلفين في الحكم؛ فربما قضى المجتهد بقول في المسألة تغليبا لأحد القياسين، وقضى الأخر بخلافه، ثم استجدت أمور ربما تجعل أحدهما يرجع إلى قول الآخر، ومثاله ما ذكره الجويني من النزاع بين العلماء في جواز أن يتفق الخصمان على الذهاب إلى محكم غير القاضي المعين من الإمام؛ فقال ما حاصله: «فإذا خلا الزمان عن الإمام، وجب أن يكون ما كان مختلفا فيه متفقا عليه؛ وذلك لأن المانعين من الذهاب إلى المحكم حال وجود القاضي الشرعي، إنما منعوا من ذلك للافتئات على حقه، وأما مع شغوره؛ فيبقى الأمر بالرد إلى أهل الذكر سالما عن المعارضة». وأما إطلاق القول به؛ فهو ضرب من تتبع رخص العلماء، كما بين الشاطبي.

والحاصل أن باب الرخص لاسيما في الحج، هو أكثر الأبواب حاجة للتوسط والقصد والاعتدال؛ لأنه من أكثر الأبواب التي ينتهي الإفراط في التيسير فيها إلى تعسير؛ من حيث لا ندري، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

من أهم الأمراض التي يواجهها، عقلية الترف والمترفين

الحج مواجهة ميدانية لآفات كل عصر

د. أحمد خليل خير الله

قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء:١٦)؛ فزيادة نسبة الترف والمترفين في أي واد هو نذير شؤم وهلاك. ولعل استراتيجية أهل الحق تتلخص في مدافعة مرض الترف وصناعة إنسان التقوى. ويكفي أن تعلم أن القرآن قد ذكر أن الترف كان سبب هلاك أصحاب الشمال -نعوذ بالله من مصيرهم- حين قال -تعالى- عنهم: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (الواقعة:٤١-٤٥).

الخلاصة الإجمالية

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ تقف الأقلام وتعجز الكلمات وتتعجب مراكز الأبحاث أمام هذه الخلاصة الإجمالية لوصف سبب رئيس من أسباب هلاك المجتمع؛ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾.

عقلية الترف

والمقصود في عرض هذه الفكرة بالطبع ليس الترف العقدي الذي وضحته الآية: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة:٤٦)؛ وهو إنكار البعث، ولكن المقصود هو عقلية الترف الكافية لإهلاك أي مجتمع، وهذه العقلية المقصودة في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾؛ فمقاومة سريان الترف والمترفين وعقلية الترف بين جنبات المجتمع هي مهمة رئيسية لأجل الإصلاح في كل زمان ومكان.

والحج يقاوم هذه العقلية ويهدمها عن طريق المناسك التي تقدم نظاما عمليا ميدانيا لمقاومة عقلية الترف.

الصفات الخمس للمترف

فالصفات الخمس للمترف من خلال استقراء النصوص:

١- بطر النعمة وعدم شكرها، والمظهر الرئيس لعدم شكر النعمة هو استعمالها في الشرور والمعاصي لا في الخيرات والطاعات!

٢- المترف قائده دنياه، وهي بوصلته وهمه ومراده وملهاه!

٣- المترف عبد لهواه، وهو بوصلته وهمه ومراده حتى لو كان تدينا أو خلقا، فهو يفعل لهواه لا لمراد مولاه!

٤- المترف أناني صاحب عقلية فردية بحتة، وهذه أخطر ما يحمله المترف من صفات نفسية؛ فالأناني على استعداد أن يحترق العالم كله من حوله في سبيل سعادته وإشباع رغباته وشهواته.

٥- المترف يتعامل مع الحج بوصفه سلعة أو بضاعة كما يتعامل مع كل ما حوله!

مقاومة الترف والمترفين

ولعل من حكم الحج ومناسكه أن الله

مقاومة سريان الترف والمترفين وعقلية الترف بين جنبات المجتمع هي مهمة رئيسية لأجل الإصلاح في كل زمان ومكان

من حكم الحج ومناسكه أن الله -عز وجل- شرعه لنا بهذه الكيفية والعقلية لمقاومة الترف والمترفين

-عز وجل- شرعه لنا بهذه الكيفية والعقلية لمقاومة الترف والمترفين؛ وكأن الله قد جعل مناسك الحج كاشفة لك ذرة من ذرات الترف بداخلك، ثم يعطيك العلاج والدواء في صورة المناسك البدنية والمالية.

عقلية من يذهب ببدنه

وكم من الحجيج قد ذهب إلى الحج يبتغي حجا على هواه! حتى قال لي أحدهم: أريد أن أفعل كل الرخص في الحج وأترك كل ما يُجبر بدم! ولا حول ولا قوة إلا بالله! وهذه عقلية من يذهب ببدنه لا بقلبه، فأنى له الانتفاع بهذه العبادة العظيمة؟!

ومن عجيب القدر أني سمعت وأنا أكتب هذه الورقات أنه قد تم القبض على أحد المسؤولين الكبار لاتهامه بقضية رشوة تعدت الخمسة ملايين جنيها، ومع الرشوة رحلة حج فاخرة! وكأنه يخادع ربه -جلا وعلا.

الله لا يخادع

إن الله -عز وجل- لا يخادع؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، والنبي -ﷺ- يقول: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون:٥١)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة:١٧٢)، ثم ذكر الرجل «يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، أنى» يستجاب لذلك»؟

صاحب عقلية الحج

لكن صاحب عقلية الحج يضع هواه تحت قدميه وهو يطوف، يدوس على فرديته وأنانيته، يطوف بين الناس في مساواة واضحة صريحة بين الأبيض والأسود والأحمر من الناس.

يطوف بين الأعجمي والعربي، بين الفقير والغني؛ فالجميع سواء، لا فضل لأحد على أحد إلا بدينه وتقواه.

المترف فائض العمران.. والأعرابي فاقد العمران..

ولا يضبط العمران إلا الإيمان وأخلاق القرآن وإنسان التقوى صاحب الإيمان

يقول الرب -جلا وعلا-: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٩٧).

قال ابن كثير: «لما في طباع الأعراب من الجفاء».

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ:٣٤).

المترف أناني صاحب عقلية فردية بحتة، وهذه أخطر ما يحمله المترف من صفات نفسية

مفهوم الترف

فالترف لا يعني التنعم؛ ولكن يعني التنعم القائد إلى الفسق وإلى الهوى، فالدول تسقط بالترف وليس فقط الأفراد أو المجتمعات.

خطورة الترف

وأخطر ما في الترف أنه مُذهب للعزم والهمم، ولا تقوم الرجال ولا الأمم إلا على أرضية وأساس من العزم؛ فإن الترف داء عضال ومرض مهلك، إن استشرى في أمة ذهب بعزمها، وأورثها تباطؤا وخمولا وكسلا ودعة، وعلقها بالحياة الدنيا وحببها إليها.

وإنسان التقوى صاحب عقلية الحج يضره ترفه في ماكينة حجه؛ لأنه يعلم أن العزم حرفة صاحب الإنجاز، وهو كان الحرم والبيت والكعبة وزمزم إلا بالعزم وطرد الترف.

تذكر ترفك وتنعمك في حجك فقاومه

أطرده وأنت في إحرامك تاركا للعطر وقص الأظافر.

تاركا للشهوات والنساء حتى لو كانت حلالا لك.

تاركا كل مخيط إلا من رداءين تضعهما على كتفك ووسطك، مثلك مثل بقية الناس، على أقدامك تطوف وتسعى وتهرول.

تحلق رأسك، وتؤدي فرضك، وتقيل ترفك.. تسعى إلى ذلك وتصمم عليه كما فعلت أمنا هاجر -عليها السلام- حين سعت بعزم وقوة.

ويا للعربة حين نتعلم الدرس في الخشونة والجلد والصبر والسعي والهرولة من امرأة.

الحج طارد للترف صانع لإنسان التقوى صاحب أركان الإيمان المتجددة والمبادئ العمرانية المنضبطة والأخلاق القرآنية المسددة.

وقفات إيمانية (١)

مع العشر الأول من ذي الحجة

د. مؤمن عبد الرحمن

أيام عشر ذي الحجة فضَّلها الله -سبحانه وتعالى-، وأودع فيها من الخيرات الشيء الكثير لعباده، ولاشك أن حياة المسلم كلها خير إذا اغتنمها في عبادة الله والعمل الصالح، وكلها خير من حين يبلغ سن الرشد إلى أن يتوفاه الله، إذا وفقه الله لاغتنام أيام حياته في الأعمال الصالحة التي يعمر بها آخرته، فمن حفظ دنياه بطاعة الله حفظ الله له آخرته، ووجد ما قدمه مدخرًا عند الله -عز وجل- ومضاعفًا، ومن ضيع دنياه ضاعت آخرته، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين؛ فكل حياة المسلم خير، ولكن من فضل الله -عز وجل- أن جعل أوقاتًا فضلها على غيرها من الأيام، ليزداد فيها المسلم أعمالا صالحة، ويحصل على أجور مضاعفة، فهناك شهر رمضان المبارك، وما فيه من الخيرات، والأعمال الصالحة والمضاعفة للأجور، وفي شهر رمضان ليلة خير من ألف شهر، وهي ليلة القدر، ولنا مع هذه العشر وقفات.

مواسم الطاعات

الوقفة الأولى: ما أجل نعمة الله علينا، وما أرحمه بنا، -سبحانه وتعالى-! يوم أن جعل لنا مواسم لطاعته، وأوقاتا نتعرض لنفحاته فيها، يرفع الله لنا بها الدرجات، ويضاعف الحسنات، ويكفر عن السيئات ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ إبراهيم ٣٤، والعبد المؤمن يتنقل بين تلك المواسم والأوقات وكله رجاء أن يقبل منه ربه ما قدم يوم أن جد واجتهد، وعلم وعمل، وأخلص وأصدق، وهو على يقين أنه متى ما قدم ذلك فله الجنة قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ سورة النساء (١٢٤)، وقال -تعالى-: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ طه(١١٢)، ويندرج تحت هذه النعمة الربانية تجديد العهد بربه؛ ذلك أن الإنسان تصيبه الغفلة وتؤثر فيه الفتن، ويسلبه الشيطان كل خير، فتأتي هذه المواسم فيؤوب ويتوب ويرجع ويعود، بنفس مقبلة، ودمعة هاطلة، وتوبة صادقة، فلك الحمد يا ربنا على ما أنعمت به علينا ولك الحمد أولاً وآخراً ولك الحمد من قبل ومن بعد.

فرصة عظيمة

الوقفة الثانية: هذه العشر فرصة عظيمة في هذه الحياة، ومكسب وفير في هذه الدنيا، والمؤمن مطالب بأن يكون نهّازاً للفرص، حريصاً على اغتنامها وكسبها، جاداً في طلب ما تحمله من خير ونعمة، وهذه العشر قد تجلّى خيرها وفضلها في قول الحبيب -عليه الصلاة والسلام-: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» يعني العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» رواه البخاري، وتعود هذه الأفضلية الرفيعة لما فيها من عبادات متنوعة وقرابين للرب مختلفة، قال ابن حجر في الفتح: «والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيها وهي الصلاة والصدقة والصيام والحج ولا يتأتى ذلك في غيره» أ. هـ كلام ابن حجر.

ويتجلّى فضل هذه الأيام أيضاً كونها أفضل أيام الدنيا؛ فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «أفضل أيام الدنيا أيام العشر»؛ فهي دعوة لك أخي المؤمن بأن تستعد في الاستقبال، وأن يرى الله منك تجاهها خير الحال، واعلم بأنها أيام تذهب من عمرك سريعاً، وتأخذ منك كثيراً فاللهَ اللهَ في البدار، وخذ الكتاب بقوة؛ فإنك وإن عشتها هذا العام، قد لا تكون ممن يعيشها في العام القادم.

منعطف خير

الوقفة الثالثة: اجعل من هذه العشر يا عبد الله منعطف خير في حياتك، ونظرا إلى ما تقدمه لله الآن، وكيف أنت عند نهايتها؟ من المهم جداً أن تكون أقرب إلى الله عند نهايتها منك عند بدايتها، ويلزم أن يظهر على وجهك وعلى عملك وعلى قلبك تأثرك بها، وإلا فما الفائدة إذاً أن تمر عليك هذه العشر الفضليات ولا تصنع منك رجلا عابدا منيباً خاشعاً لله -تعالى-، ولا بد أيضاً أن تتفاعل معها تفاعلاً إيجابياً وذلك بتغيير نمط حياتك السلبي، أو مضاعفة ما كنت تفعله من عبادات صالحة، أو أن تكسر روتين حياتك المعتاد بما يصلح من القول

من فضل الله -عز وجل- أن جعل أوقاتًا فضلها على غيرها من الأيام، ليزداد فيها المسلم أعمالا صالحة، ويحصل على أجور مضاعفة

العبد المؤمن يتنقل بين تلك المواسم والأوقات وكله رجاء أن يقبل الله منه ما قدم حين جد واجتهد، وعلم وعمل، وأخلص وصدق،

العمل. قال -تعالى-: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الحجر(٩٩).

كيفية الاستقبال

الوقفة الرابعة: فما دمنا مقدمين على استقبال هذه العشر المباركات، فإن الكثير منا يجهل كيفية هذا الاستقبال؛ لذا على المؤمن أن يخطط ويعمل على استقبال كل دقيقة في أفضل أيام الدنيا، وعليه أيضاً أن يعد البرامج ويرسم الجداول التي تعينه على ذلك الاستثمار الإيماني الرائع؛ فالعشر ميدان للأعمال الصالحات دون استثناء.

خصائص عشرة ذي الحجة

الوقفة الخامسة: خصائص عشرة ذي الحجة: - لهذه الأيام العشر خصائص أذكر منها:

١- أن الله -سبحانه وتعالى- أقسم بها في كتابه الكريم قال -تعالى-: ﴿وَالْفَجْرِ(١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)﴾ الفجر (١- ٢)، ولا شك أن قسم الله -تعالى- بها يبين شرفها وفضلها، وجمهور المفسرين على أنها في الآيات عشر ذي الحجة، وقال ابن كثير -رحمه الله- وهو الصحيح.

٢- أن الله -سبحانه وتعالى- سماها في كتابه (الأيام المعلومات) وشرع فيها ذكرى على الخصوص قال -تعالى- ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ...﴾ الحج (٢٨) وقد ذكر بعض المفسرين أن الأيام المعلومات هي العشر الأولى من ذي الحجة.

٣- أن الأعمال الصالحة فيها أحب إلى الله -تعالى- من غيرها عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشرة فأكثروا فيهن من التكبير والتهليل والتحميد» رواه أحمد.

٤- أن فيها يوم (التروية) وهو اليوم الثامن منها وتبدأ فيه أعمال الحج.

٥- إن فيها يوم (عرفة)، وهو يوم عظيم ويعد من مفاخر الإسلام، وله فضائل عظيمة؛ لأنه يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها، ويوم العتق من النار، ويوم المباهاة؛ فعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، أنها قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله -عز وجل- فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة»...الحديث رواه مسلم.

٦- أن فيه (ليلة جمع) وهي ليلة مزدلفة التي يبيت فيها الحاج ليلة العاشر من ذي الحجة بعد دفعهم من عرفة.

٧- أن فيها فريضة الحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام.

٨- أن فيها (يوم النحر) وهو اليوم العاشر من ذي الحجة الذي يعد أعظم أيام الدنيا كما روي عن عبد الله ابن قرط عن النبي -ﷺ- أنه قال: «إن أعظم الأيام عند الله -تبارك وتعالى- يوم النحر، ثم القر» رواه أبو داود.

٩- أن الله جعلها ميقاتاً للتقرب إليه سبحانه بذبح القرابين كسوق الهدي الخاص بالحاج، وكالأضاحي التي يشترك فيها الحاج مع غيره من المسلمين.

١٠- أنها أفضل من الأيام العشر الأخيرة من رمضان لما أورده شيخ الإسلام ابن تيميه -رحمه الله-؛ فقد سئل عن ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان أيهما أفضل؟

فأجاب «أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة» أ. هـ كلامه -رحمه الله.

الأعمال المستحبة

الوقفة السادسة: هناك من الأعمال المستحب فعلها في هذه العشر، ويجب التنبيه عليها ومنها:-

١- ضرورة التوبة إلى الله -تعالى- والرجوع إليه، والإقلاع عن الذنوب والمعاصي، والإقبال على فعل الصالحات.

٢- أداء الصلوات الخمس في أوقاتها فهي من أجل الأعمال وأعظمها وأكثرها فضلاً، وعلى المؤمن أن يحافظ عليها جماعة مع المسلمين، وأن يكثر من النوافل في هذه العشر؛ فإنها من أفضل القربات.

٣- الصيام سواء صيام تسع ذي الحجة جميعها أو بعضها ولاسيما يوم عرفة، روى مسلم عن أبي قتادة عن النبي -ﷺ- قال: صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده «وعن حفصة قالت: أربع لم يكن يدعهن النبي -ﷺ- صيام يوم عاشوراء، والعشر، وثلاث من كل شهر وركعتين قبل الغداة» رواه أحمد والنسائي.

٤- العمرة والحج هما أفضل ما يعمل في عشر ذي الحجة.

٥- التكبير والتحميد والتهليل والذكر قال -تعالى-: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ...﴾ الحج(٢٨)

ويجهر به الرجال، وتسر به النساء، والتكبير نوعان:

أ- المطلق وهو المشروع في كل وقت من ليل أو نهار، ويبدأ من أول شهر ذي الحجة ويستمر إلى آخر أيام التشريق.

ب- المقيد وهو الذي يكون عقب الصلوات والمختار أنه عقب كل صلاة أياً كانت، ويبدأ من صبح عرفة إلى صلاة عصر أخر أيام التشريق وهو اليوم الثالث عشر من ذي الحجة.

وقد استحب العلماء كثرة الذكر في العشر لحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- عن أحمد -رحمه الله- وفيه: «فأكثروا فيهنّ من التهليل والتكبير والتحميد»، وذكر البخاري -رحمه الله- عن ابن عمر وعن أبي هريرة -رضي الله عنهم- أنهما كانا يخرجان إلى السوق في العشر فيكبرون فيكبر الناس بتكبيرهم.

رسالة لمن أراد الحج

الوقفة السابعة: وهي رسالة أوجهها لمن أراد فريضة الحج وهو عازم أيضاً هذا العام على تأخيرها مع استطاعته وقدرته البدنية والمالية وأقول له: إلى متى التسويف والتأجيل؟ إلى متى وأنت بين اغترارك بالدنيا وبين طول الأمل؟ ألا ترى ملك الموت يقتلع أرواح من بجانبك من أهلك وصحبك؟ أتضمن العيش إلى عامك القادم وأنت صحيح معافى وذو جدة؟ احذر يا أخي أن تؤخر الحج! والله في العزم من الآن على أن تكون من حجاج بيت الله الحرام من هذا العام.

موانع الاستفادة من عشر ذي الحجة

محسن صالح

مع علو شأن العشر من ذي الحجة ومكانتها السامقة في الشرع المطهر، وعظمة ثواب العمل الصالح فيها، وأنه أكثر ثوابًا من وقوعه في غيرها من الأيام، ومع ذلك نرى ضعفًا عند جمهور المسلمين، وتكاسلاً عن العمل الصالح، وانصرافًا عن الجد والاجتهاد، وتباطؤًا عن الاندفاع له، ولاشك أن لهذا أسبابًا سنذكر بعضها في هذا المقال، حتى نبتعد عنها، ونغتنم هذا الموسم أعظم اغتنام، فمن هذه الأسباب:

الذنوب والمعاصي

فكم حرمت الذنوب من طاعة، وكم حالت بين العبد وبين قربة، أليس كثير من المسلمين قد عرفوا فضلها، وتبينت لهم؟ مكانته فلما هذا التكاسل عن العمل الصالح؟ إن الجواب معروف: وهو الذنوب والمعاصي الحائل بين العبد وبين -رحمة الله- ومن رحمته التوفيق للعمل الصالح، وقد نزلت بك عشر مباركة، فجدد التوبة فيها للتأهل لطاعة الله -تعالى-، واعلم أن للذنوب أثرا كبيرا في الحرمان.

جاء رجل إلى الحسن البصري -رحمه الله-، وقال له يا أبا سعيد: أجهز طهوري لقيام الليل فلا أقوم! فقال له الحسن: قيدتك ذنوبك؛ فالذنوب سبب لكل حرمان من الطاعة؛ فالحذر الحذر منها! وتأمل في حال المستقيمين على الطاعة، كيف أنهم بين صوم وصلاة وذكر ودعاء، وأنت محروم من هذا الخير، ولو فتشت لعلمت أنما أُتيت من قِبل نفسك، فجدد التوبة اليوم وانظر إلى الأثر العظيم لها.

الجهل بفضل الموسم

مع انتشار الخير ووصوله لأصقاع الدنيا، بفضل الله بما سخر من وسائل الإعلام إلا أنه تبقى طائفة من المسلمين في جهل كبير عن فضل هذا الموسم، أو أنهم لم يعرفوا قدره حق المعرفة؛ فلذا حصل التفريط منهم، وهنا يأتي واجب الدعاة إلى الله في مساجدهم عن طريق الخطب والدروس والمحاضرات للتنويه بفضل هذا الموسم وعظيم مكانته عند الله -تعالى- حتى تندفع النفوس لفعل الخير في هذا الموسم المبارك «ومن دل على هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه».

طول الأمل

إن من أعظم الأمور المهلكة للمرء طول الأمل، واستبعاد الموت؛ مما يجعل الإنسان يسوّف في العمل الصالح، ولا يسارع إليه، ويظن أن بإمكانه التعويض فيهلك أيما هلاك، ويفرط في مواسم الخير، ولو نظر نظرة إنصاف وعدل لوجد أن الأمر أسرع من كل شيء، قال عون بن عبد لله -رحمه الله-: «كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ! ومنتظر غداً لا يبلغه، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره»، وإذا تأملت في سيرة السلف العطرة وجدت عندهم من قصر الأمل ما يجعلهم يبادرون الأوقات كلها في الطاعة، فضلاً عن مواسم الخير، قال معروف لرجل صلّ بنا الظّهر، فقال: إن صليت بكم الظهر لم أصلّ بكم العصر، فقال: وكأنك

واجب الدعاة والخطباء إرشاد الناس إلى فضل هذا الموسم وعظيم مكانته عند الله حتى تندفع النفوس لفعل الخير وكسب الأجر

من أعظم الأمور المهلكة للمرء طول الأمل، واستبعاد الموت؛ مما يجعل الإنسان يسوّف في العمل الصالح، ولا يسارع إليه

الاجتماع له أثره في فعل الطاعة؛ ولذا جاءت نصوص الشرع آمرة بالجماعة لكثير من الطاعات؛ مما يكون سبباً لتسهيلها

تؤمل أن تعيش إلى العصر، نعوذ بالله من طول الأمل.

تذكر ياصاحب الأمل الطويل أن أمر حياتك وموتك ليس بيدك وإنما هو بيد الله -تعالى-، وكم تعرف ممن كان يعيش في صحة وعافية خطفه الموت على حين غرةٍ؛ فاحمد الله أن بلغت هذا الموسم، وجد واجتهد في العمل الصالح.

ندرة المعين

إنه مع وجود الخير في المجتمع، وكثرة الطائعين من أتباع هذا الدين العظيم، إلا أن الانصراف عن الطاعة في هذا الموسم هو السمة البارزة لجمهور المسلمين، والاجتماع له أثره في فعل الطاعة ولذا جاءت نصوص الشرع بالأمر بالجماعة لكثير من لطاعات؛ مما يكون سبباً لتسهيلها، ولذا من النصح في البيوت وللأهل التعاون على الطاعة، ومن النصح للمسلمين المعاونة على الطاعة ونشر الخير بينهم، تأمل في حال من سبق وكيف كانوا يتعاونون على الطاعة.

عن أبي عثمان النهدي قال تضيفت أبا هريرة سبعا فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثا، يصلي هذا ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا، ثم يوقظ هذا (سير أعلام النبلاء ٢/٦٠٩)، وكان الحسن بن صالح وأخوه عليّ وأمهما يتعاونون على العبادة بالليل وبالنهار قياما وصياما؛ فلما ماتت أمهما تعاونا على القيام والصيام عنهما وعن أمهما فلما مات علي قام الحسن عن نفسه وعنهما، وكان يقال للحسن حية الوادي يعني لا ينام بالليل. (انظر حلية الأولياء ٧/ ٣٢٨)، فاجتمع أنت وأهل بيتك على الطاعة، وإن سمت همتك فكن عوناً لأهل حيك لتعينهم على الطاعة هذا الموسم المبارك.

كثرة الفتن والصوارف

كم تصرف الفتن المسلمين هذه الأيام عن اغتنام مواسم الخير! ولعلي أن أذكر أشدها سبباً في صرفهم وهي (وسائل الإعلام) بقنواتها جميعا؛ فلذا يجب على العاقل أن يكون ناصحاً لنفسه، وأن يحذر من خطرها وشرها عليه، ولاسيما في هذا الموسم، اترك كثيراً من مباحاتها اليوم للتفرغ للطاعة والقربة، فهي أيام قليلة يُوشك أن تنقضي.

رجال الفجر

د. أحمد حمدي

من علامات الخلل والتقصير الخطيرة في أحوال بعض من ينتسبون إلى الالتزام هو النوم عن صلاة الفجر يوميًا، أو يستيقظ أيامًا وينام أيامًا، والمشكلة هو عدم الشعور بعظَم جُرم التقصير في الفرائض، قال -ﷺ- عن رب العزة في الحديث القدسي: «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»، فبعضهم ينشغل بالسهر على الجلسات الإدارية والدعوية، وحل مشكلات الناس، والاجتماعات، وينشغل بالمفضول عن الفاضل وبالفروض الكفائية عن الفروض العينية.

ترى بعض كبار السن والعجائز يواظبون على الوجود في المسجد قبل صلاة الفجر بساعة لقيام الليل والاستغفار وقراءة القرآن والمواظبة على الصف الأول وتكبيرة الاحرام، بينما تجد تكاسلَ بعض الملتزمين؛ فتراه يأتي متأخرًا أو مسبوقًا أو يصلي في جماعة ثانية إذا استيقظ!.

وقد وردت الأحاديث في الترهيب من ذلك، منها:

١- ما ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ -ﷺ-، من رَجُل، مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِه».

٢- «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاة عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا».

٣- وقد ورد الأثر عن ابن مسعود وابن عمر -رضي الله عنهم- فيمن يتخلف عن صلاة الفجر: «كنا نسيء الظن به، أن أصابه شيء من النفاق»

• وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في فضل شهود صلاة الفجر؛ فمن قصر فيها ضاع عليه خيرٌ كثيرٌ:

١- قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، وقال: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾؛ والله -عزّ وجلّ- لا يقسم بوقت إلا لفضله وشرفه وأهمية العبادة فيه.

٢- وقال -ﷺ-: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»؛ فهل تستشعر إذا فاتتك سُنّة الفجر أنك خسرت الدنيا وما فيها؟!

فكم من أناس لو قيل لهم سيتم توزيع زجاجة زيت أو سكر أو أنبوبة غاز، أو «علاوة» أو مبلغ يومي لمن يصلي الفجر لوقفوا طوابير؛ فهل نحن مُصَدِّقون وموقنون بحديث النبي -ﷺ-: «مَن صَلَّى الصُّبحَ في جَمَاعَة فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ»، وقال: «أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- صَلَاةُ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَة».

٣- وقال -ﷺ-: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ-: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».

أطفالنا وعشر ذي الحجة

عادل بن سعد الخوفي

جاء عن ابْنُ عُمَرَ -رضي الله عنه-: «أَدِّبِ ابْنَكَ فإِنَّكَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ: مَاذا أَدَّبْتَه، وَمَاذا عَلَّمْتَهُ؟ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ بِرِّكَ وَطَوَاعِيَتِه لَكَ»، وقال بعض العلماء: «اللَّه -سُبْحَانَه- يَسْأَل الْوَالِدَ عَنْ وَلَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَل الْوَلَدَ عَنْ وَالِدِهِ».

لقد كان دَيدَنُ السلف الصالح في تربيتهم لأولادهم: بناء معتقدهم، وتنمية مهاراتهم وقدراتهم، وتحصينهم ضد الشهوات والشبهات، وتأهيلهم للأعمال الجليلة، والواجبات الشرعية، والسلوكيات الحميدة، وقد وردت النصوص في تأكيد ذلك وبيانه. جاء عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ: «أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ «مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِه». فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ عِنْدَ الإِفْطَارِ».

هكذا ينبغي لنا

هكذا كانوا، وهكذا ينبغي لنا أن نكون مع أطفالنا في خير أيام الدنيا؛ عشر ذي الحجة، يقول -صلى الله عليه وسلم-: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشرة» قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلاّ رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه من العمل فيهن، من هذه العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد».

القيام بشعائر الإسلام

قال الإمام ابن حجر: «الْمُرَادَ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ أَيَّامِ السَّنَةِ سَوَاءٌ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَمْ لَا، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الْجُمُعَةِ فِي غَيْرِهِ لِاجْتِمَاعِ الْفَضْلَيْنِ فيه»، فهل ترى من النَّجابة في شيء أن نُفوِّتَ أياماً عظيمة كهذه الأيام دون أن ننقش من آثارها على أولادنا، فيشب أحدهم وقد اعتاد القيام بشعائر الإسلام، وتمرَّس على واجباته ومستحباته، ونشأ وقد وقَرَ في قلبه عظمة ما نُعظِّمه، وصارت أعظم الأشياء عنده ما نعتقده، متين المعتقد، سليم القلب، طاهر اللسان، شاباً صالحاً، وعضواً نافعاً في المجتمع؟!

خُطوات إيمانية

إننا لنُحَقِّق هذه الخِصال مع أطفالنا في أعظم الأيام عند الله، ينبغي أن تكون لنا خُطوات أسرية إيمانية مدروسة، نستجلبُ بها رحمة الكريم المنَّان، ونؤكِّد فيها التقارب معهم، ونرسم أهدافاً سامية يسعى الجميع إلى تحقيقها في دنياه لعمارة آخرته وبنائها.

لفت الانتباه

الخطوة الأولى: وذلك بطباعة حديث الإمام البخاري، وحديث الإمام أحمد، وقول الإمام ابن حجر -رحمهم الله- التي ذُكرت مطلع هذا المقال، بصورة واضحة، وتعليقها في غرفة الجلوس، أو في مكان بارز في البيت؛ ليتمكن الجميع من قراءتها.. ولو أمكن إعلان جائزة مناسبة لمن يحفظها من أفراد الأسرة، لكان هذا جميلاً.

التهيئة النفسية

الخطوة الثانية: حيث تجتمع الأسرة في حلقة حول الأب، أو غيره من أفراد الأسرة، لبيان



كان دَيدَنُ السلف الصالح في تربيتهم لأولادهم: بناء معتقدهم، وتنمية مهاراتهم وقدراتهم، وتحصينهم ضد الشهوات والشبهات

عظمة هذه الأيام العشر؛ فقد ذكرها الله -تعالى- في كتابه: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، وجاءت الأحاديث وأقوال السلف في فضلها، وأنها أعظم أيام الدنيا، وقد حثَّ نبينا الكريم -ﷺ- على العمل الصالح فيها، وأمر بكثرة التهليل والتكبير، ثم فيها يوم عرفة، ويوم النحر، واجتمعت فيها أمهات العبادة: الحج، والصدقة، والصيام، والصلاة، يُعرض هذا كله بأسلوب مشوّق يتناسب مع الفئة العمرية لأفراد الأسرة، وبمزيد من المراعاة لفُهُوم الأطفال فيها.

جانب من أعْمال العَشر

الخطوة الثالثة: دلَّت النصوص من الكتاب والسنَّة وأقوال أهل العلم على استحباب الإكثار من الأعمال الصالحة في هذه العشر، ومن ذلك:

أداء الصلوات المفروضة

أولاً: أداء الصلوات المفروضة على وجهها الأكمل، بأدائها على وقتها، والتبكير لها، وإتمام ركوعها وسجودها، وتحقيق خشوعها، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ -ﷺ-: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا».

قراءة القرآن

ثانياً: التقرب إلى الله بالإكثار من قراءة القرآن، والصدقات، وإعانة المحتاجين، والتوبة والاستغفار، وصلاة النوافل، وأداء السنن الرواتب، وصلاة الضحى، والوتر، وقيام الليل؛ فقد جاء عن سعيد بن جبير قال: «لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر»، كناية عن القراءة والقيام.

صيام ما تيسر

ثالثاً: صيام ما تيسر من أيام هذه العشر؛ فهو داخل في جنس الأعمال الصالحة، وآكدها صيام يوم عرفة لغير الحاج، قال -ﷺ-: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ».

رابعاً: الإكثار من التهليل، والتكبير، والتحميد، لقوله -ﷺ-: «فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد»، كما أنه يُستحَبّ التكبير المطلق في البيت، والسوق، والعمل، إلا ما دلَّت النصوص على كراهة الذكر فيه، قال -تعالى-: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾، وصفته: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد»، قَالَ ابْنُ عَبَّاس: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ أَيَّامُ الْعَشْرِ... وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ يُكَبِّرَانِ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا».

حج بيت الله الحرام

خامساً: ومن أعظم الأعمال في هذه العشر حج بيت الله الحرام، وقصد بيته لأداء المناسك لمن تيسر له، قال -ﷺ-: «الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة»، وقال -ﷺ-: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

الأضحية

سادساً: ومن الأعمال الجليلة في هذه العشر المباركة؛ ذبح الأضاحي تقرباً لله، فإنه: «-ﷺ- ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده، وسمّى وكبّر، ووضع رجله على صِفَاحِهما».

الجانب التطبيقي التربوي

الخطوة الرابعة: وتمثل الجانب التطبيقي التربوي وتشمل ما يلي:

حفظ الذكر

تشجيع الأطفال على حفظ الذكر المطلق في أيام العشر، وكذا حفظ شيء من نصوص فضائل الأعمال فيها، من خلال إعلان مسابقة لذلك وجوائز حسية ومعنوية؛ فإن لذلك أثره الكبير في صياغة عقلية الطفل واهتماماته في المستقبل، قال إبراهيم بن أدهم: «قال لي أبي: يا بني، اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثاً وحفظته فلك درهم. فطلبت الحديث على هذا».

محبة العبادة

اعتياد الصغير للعبادة سبب في محبتها وإلْفها، فتكون سهلة ميسورة حين كِبَره، كيف وهو يرى والديه جعلا أعمال العشر برامج تطبيقية عملية في حياتهم، يذكرون بالصلاة على وقتها، ويُردِّدُون على مسمعه كلمات الأذان، ويُرَطِّبُون أسماعه بترداد التكبير المطلق، ويصطحبونه لإيصال الصدقات وإعانة المحتاجين، يُعَرِّفونه بالسنن الرواتب وأجورها، ويُعوِّدونه صيام جزء - ولو يسيراً جداً - من اليوم.

الجلسات الحوارية

الجلسات الحوارية الأسرية الهادئة لها أثرها البالغ في حياة الطفل، ولو كانت إحداها في شرح معاني مفردات التهليل والتحميد والتكبير، وشيء من دلالات أسماء الله وصفاته، وبيان الحكمة من الصلاة، والصوم، وإعانة المحتاجين، وأثر أيام العشر، ويوم عرفة على العباد، لكان في ذلك ترسيخ لمحبة الله سبحانه، وتعظيمه، وتوقيره، وقدره حق قدره، وترسيخ محبة رسول الله -ﷺ-، وسبب في أن ترتبط نفس الطفل بمولاه سبحانه، وتنمو روحه وتَسْلَمُ فطرتَه، ويبقى مستظلاً بظلها، يعيش معناها في كِبَره شيئاً فشيئاً.

استثمار المزايا العظيمة

استثمار المزايا العظيمة التي ذكرها -ﷺ- للعمل الصالح في هذه الأيام العشر، لتبيان أن الله جعلها أمام عبيده؛ ليتقربوا إليه، فتزيد حسناتهم، وتُحطّ سيئاتهم، فيفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض. ما أنها تدل على محبة الله لعباده المؤمنين، وأن قَدْرَ المَوحِّد عند الله عظيماً؛ فلا يجوز تخويفه، أو رفع السلاح في وجهه، أو التنابز معه بالألقاب الفاحشة، فقد نظر ابن عمر -رضي الله عنه- يوماً إلى الكعبة فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك».

تذكير بقصَّة الفداء

في الأضحية إحياء لسنة أبينا إبراهيم عليه السلام، وفيها تذكير بقصَّة الفداء والتضحية والتقرب إلى الله، وفيها هدي نبينا -ﷺ- يوم العيد، وحين إلقاء الوالدين على أطفالهم قصة نبي الله إبراهيم مع ابنه إسماعيل؛ إذ أصبح يوم فداء إسماعيل وإنقاذه من الذبح عيدًا للمسلمين يُسمَّى بعيد الأضحى، يذبح فيه المسلمون الذبائح تقربًا إلى الله، وتخليدًا لهذه الذكرى، تبقى هذه القصة مؤثرة في عقولهم ووجدانهم، يعيشون حياة أبطالها، يستمعون بشغف إليها، ويتقمَّصون ما فيها من حِكَم أو دلالات، وينسجون لنفوسهم خيالات واسعة بين أحداثها، فيؤمنوا بما دلَّت عليه، وتفتح لهم ملكة التفكير للتعبير والإبداع النافع.

وفديناه بذبح عظيم

سحر شعير
باحثة في شؤون الدعوة والتربية

في رحاب العشر الأوائل من ذي الحجة وموسم الحج الأكبر، تلك الأيام العظيمة التي تتعدد فيها فضائل الأعمال، وبراهين توحيد رب العالمين من عباده المخلصين، تبرز كل عام ذكرى الفداء العظيم مع عبادة ذبح الأضاحي في أول أيام عيد الأضحى المبارك، تلك السُّنة المباركة التي ورثها المؤمنون عن أبيهم إبراهيم -عليه السلام-؛ فقد جعلها الله -تعالى- نسكًا خالدًا في شريعة الإسلام إلى يوم القيامة، ولأن عيد الأضحى يرتبط ارتباطًا وثيقًا بقصة الذبيح إسماعيل -عليه السلام- وما فيها من دروس مستفادة وعبر تربوية؛ لذلك يجدر بالمربي الحريص على استغلال الأحداث والمناسبات الدينية أن يقصّ على أبنائه قصة الفداء العظيم، ويستخرج منها الدروس المستفادة ليعلمها لأبنائه في جلسات أسرية دافئة.

وإليكم أهم هذه الفوائد التربوية من القصة التي خلدها الله -تعالى- في كتابه المجيد، وفي أداء المسلمين لعبادة ذبح الأضاحي لله -تعالى- من كل عام:

جلسة عائلية دافئة

قبيل قدوم العيد، وفي جلسة عائلية دافئة، يبدأ الأب - أو الأم - بتلاوة الآيات الكريمات التي وردت فيها هذه القصة العظيمة، وهي الآيات ١٠٢:١١٠ من سورة الصافات، مع توضيح معاني غريب الألفاظ بأسلوب ميسر يناسب فهم الأبناء ومتمشيًا مع مرحلتهم العمرية، ثم يتناول الأب أهم الدروس التي أراد الله -تعالى- أن يعلمها لعباده المؤمنين من هذه القصة:

تحصين الأبناء

وهذه من أهم قواعد التربية الإيمانية للأبناء، التي لو نجح المربي في غرسها وتوصيلها للأبناء مبكرًا لانتفعوا بها مدة حياتهم، ولتكونت عندهم حصانة نفسية ضد اليأس والاكتئاب الذي قد يصيب الشباب الصغار عند مواجهتهم لأي ابتلاء في بواكير أعمارهم؛ فالله -تعالى- يحب عباده المؤمنين ولا يريد أن يعذبهم أبدًا ما داموا مستقيمين على طاعته، قال -تعالى-: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (١٤٧).

المقصود من الابتلاء

كان المقصود من الابتلاء لنبي الله إبراهيم في قصة الفداء إظهار عزمه وإثبات علوّ مرتبته في طاعة ربّه؛ فإن الولد عزيز على نفس الوالد، والولد الوحيد الذي هو أمل الوالد في مستقبله أشدّ معزّة على نفسه لا محالة، وقد رزقه الولد بعد أن يئس هو وزوجته منه، وبعد أن أقرّ الله عينه بإجابة سؤله وترعرع ولده أمره بأن يذبحه وذلك أعظم الابتلاء..!

الحكمةُ من القصّة

وهنا تتجلّى الحكمةُ من القصّة؛ وذلك أنَّ أَصْلَ التَّوحيدِ بل لبّه وروحه هو محبّةُ اللهِ -تعالى-، وأن المؤمن الصادق لابد أن يقدم محبة الله -تعالى- على أي محبة، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «ولما اتَّخذه ربُّه خليلاً، والخَلّة هي كمال المحبَّة، وهي مرتبة لا تَقبلُ المشاركةَ والمزاحمةَ،وكان قد سأل ربَّه أن يهَبَ له ولدًا صالحًا، فوهَب له إسماعيلَ، فأخذ هذا الولدُشعبةً من قلْبه، فغار الخليلُ على قلب خليله أن يكونَ فيه مكانٌ لغيره، فامتحَنَه بذَبْحِه ليظهرَ سرُّ الخَلّة في تقديمه محبّةَ خليله على محبَّة ولده، فلمَّا استسلم لأمر ربّه، وعزم على فعله، وظهر سلطان الخَلَّة في الإقدام على ذبح الولد إيثارًا لمحبَّة خليله على محبّته، نسخ الله ذلك عنه، وفداه بالذِّبح العظيم؛ لأنَّ المصلحة في الذَّبح كانت ناشئةً من العزم وتوطين النَّفس على ما أمر به، فلمَّا حصلت هذه المصلحة، عاد الذَّبح مفسدة، فنُسخ في حقِّه، فصارت الذَّبائح

سُنّة (الابتلاء) من أهم قواعد التربية الإيمانية للأبناء، التي لو نجح المربي في غرسها وتوصيلها لهم مبكرًا لانتفعوا بها مدة حياتهم

يستفيد المربي من هذه القصة أن يستلهم علاقة الصداقة التربوية التي تربط بين خليل الله إبراهيم وولده إسماعيل -عليهما الصلاة والسلام

والقرابين من الهدايا والضَّحايا سُنَّة في اتّباعه إلى يوم القيامة» (جلاء الأفهام:٢٧٤).

السمع والطاعة لأمر الله -تعالى

فإسماعيل -عليه السلام- يعلم في صغره بأن رؤيا الأنبياء حق، وأن رؤيا الأنبياء في المنام من الوحي فقال:﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾، يعني ما يأمرك الله به وهذا يفيد بأنه تلقى تربية إيمانية كاملة وواضحة من صغره حتى ثبت في يقينه أن الله -تعالى- لا يأمره إلا بما يصلحه في الدنيا والآخرة، حتى لو كان فيه بعض المشقة، فقد استسلم إسماعيل لطلب والده على الرغم من صعوبته صابرًا مطيعًا لأمر الله -تعالى-: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات:١٠٢)

لابد أن يأتي الفرج بعد الشدة

وهذه أيضا من سنن الله -تعالى- في الابتلاء، بأن العاقبة للمتقين، وأن النصر يأتي مع الصبر، والفرج بعد الشدة، وأن مع العسر يسرا، فعندما يطيع الإنسان ربه أو يطيع الابن والديه في أمر يكره فعله فإن الله يعوضه خيرا: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات:١٠٤-١٠٧)، فنال إبراهيم جائزةً فورية نتيجة نجاحه في الاختبار، ونال إسماعيل كذلك جائزة فورية أخرى بنزول الكبش نتيجة بره لوالده.

ثم رفع الله ذكرهما في العالمين، جزاءً وفاقًا كما رفعوا أمر الله -تعالى- فوق مشاعرهم الفطرية، وفوق جبلتهم الإنسانية من التعلق الشديد بين الأب وابنه، فلا يزال المؤمنون يذكرونهم بالخير والثناء الحسن كلما ذكروا القصة العظيمة، وكلما تلوْا كتاب الله -تعالى-، وكلما تجددت عليهم سنة ذبح الأضاحي في يوم النحر من كل عام.

طاعة الله -تعالى

طاعة الله -تعالى- تجلب الخير والبركة للمؤمن؛ فقد تتابع كرم الله -تعالى- على خليله إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (الصافات:١١١- ١١٣)، فمن يصبر على أوامر الله -تعالى-؛ فإن الله يغدق عليه بكرمه أكثر مما يطلب أو يتوقع، فكان من كرم الله -تعالى- أن رزقه بولد آخر نتيجة صبره وطاعته ونجاحه بالاختبار، ليسعده وتقر عينه بولد آخر وهو إسحاق -عليه السلام.

ثم بارك الله في إبراهيم -عليه السلام- وذريته؛ بسبب طاعته ونجاحه في الابتلاء، فبارك في ذرية إسماعيل وكان منها رسولنا محمد -ﷺ-، وكذلك بارك في ذرية إسحاق؛ فكان منها نبي الله يعقوب ويوسف -عليهما السلام-، وهذا وعد من الله لكل من سار على نهجهما في صدق المحبة وإخلاصها لله -تعالى- وتقديم أوامره على النفس والمال والولد، قال -تعالى-: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات:١١٠).

فائدة مهمة للمربين

يستفيد المربي من هذه القصة أن يستلهم علاقة الصداقة التربوية التي تربط بين خليل الله إبراهيم وولده إسماعيل -عليهما الصلاة

المقصود من الابتلاء لنبي الله إبراهيم في قصة الفداء إظهار عزمه وإثبات علوّ مرتبته في طاعة ربّه

والسلام-؛ حيث تبدو معالمها واضحة من الحوار بين الأب وابنه، ويظهر بوضوح أن العلاقة بين إبراهيم -عليه السلام- وولده علاقة قوية، ففضلا عن أنها علاقة نسب إلا أنها تشتمل على علاقة صداقة، وهذه التي يصعب على كثير من الآباء تحقيقها مع أبنائهم ولاسيما في مرحلة المراهقة، وهو العمر نبي الله إسماعيل وقت وقوع هذه القصة، قال -تعالى-: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾، ويعني (بلغ السعي) أي صار يسعى ويمشي مع والده ويقضي معه حوائج الدنيا، ومن هنا نستدل على أن العلاقة كانت علاقة تجاذب لا تنافر بينهما.

لغة الحوار التربوي

كما يبدو واضحًا اعتماد لغة الحوار التربوي بين الأب وولده وكأنه يشاوره، قال -تعالى-: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، فعلى الرغم من أن إبراهيم -عليه السلام- تلقى أمرًا بالذبح من الله -تعالى-، إلا أنه استشار ابنه الصغير وأخذ رأيه بقوله: (ماذا ترى؟!)، وهذه لفتة تربوية مهمة بأن نتحاور مع أبنائنا حتى في الأمور المسلمة والمفروضة التي أمرنا الله بها؛ لأن الأبناء ولاسيما في سن المراهقة يرون الحوار معهم احترامًا وتقديرًا بينما يكرهون الفرض والإجبار.

تسلية لكل مؤمن

إنّ في قصة الفداء العظيم تسلية لكل مؤمن أصيب بنوع من الابتلاء العائلي؛ حيث قال -تعالى- عنه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ (الصافات:١٠٦)؛ لأن إبراهيم -عليه السلام- لم يرزق بولد حتى بلغ عمره ٨٦ سنة، ثم رزق بإسماعيل الذي جاء بعد طول انتظار، وكان وقتذاك ولده الوحيد، فلما جاء وتعب على تربيته أمره الله بذبحه، والأصعب من هذا الأمر أن يكون الذبح بيد أبيه الذي انتظره نيفًا وثمانين سنة، فهذا بلاء عظيم؛ فلما نجح في الاختبار والابتلاء كافأه الله -تعالى- ففدى ابنه بذبح عظيم، وصارت سنة ونسكًا للمسلمين إلى قيام الساعة حتى يتعلموا معاني الصبر على البلاء والسمع والطاعة لأوامر الله -تعالى-، وأن في عاقبتها خير عظيم.

التعامل مع سير السلف في العبادة بين الإفراط والتفريط

د. أبو بكر القاضي

كثير ما نقرأ سير السلف في اجتهادهم في عبادتهم في صيامهم وقيامهم لإحياء قلوبنا وتلمس هدي هؤلاء في سيرهم إلى الله وتعاملهم الراقي في علاقتهم بربهم، بينما تعاملنا إما أن يكون غاليا أو جافيا؛ فالأول يؤدي إلى جلد الذات، ويصبح سياطا يعذب بها السائر إلى الله، وقد ينفر وتنكسر إرادته، وقد يصاب بالهزيمة النفسية أمام هذه السير الفذة، والثاني يكون قد خسر الاستفادة من هذه السير باستهتاره وإهماله وهو مقصر تمام التقصير.!

ولذا أحاول في هذه الهمسات الثمانية أن أوضح كيفية استيعاب تلك السير وهضمها والاستفادة منها رغم الشقة التي بيننا وبينها، فهما وفقها وواقعا فهي مفاتيح لمعالجة المادية القاحلة والتقصير الشديد في ذلك الجانب، والتشوه المحسوس والمنظور في بناء الشخصية في الصف الإسلامي.

الهمسة الأولى

قد يتساءل بعضنا حين ينظر لهذه السير لماذا كل هذا الاجتهاد؟! وقد يخيل إليه أن هذا من قبيل المبالغة والتكلف والغلو، والإجابة ببساطة ووضوح، كلما ازداد إيمان العبد كلما زادت شفقته على نفسه واجتهاده في الطاعة، والعكس بالعكس كلما نقص إيمانه، قل عمله مع الأمن، كما قد جاء في الحديث حين سألت عائشة -رضي الله عنها- النبيﷺ عن قوله -تعالى-: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾، قالت عائشة -رضي الله عنها-: يارسول الله أهؤلاء الذين يزنون ويسرقون ؟

قال: «لا يا ابنة الصديق هؤلاء الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ألا يتقبل منهم».

وهذا قول الحسن حين ذكر له خشية عمر رضي الله عنه حين موته: «هكذا المؤمن جمع إحسانا وشفقة، والمنافق جمع إساءة وعزة، والله ما وجدت إنسانا زاد إحسانا إلا وجدته ازداد مخافة وشفقة، ولا ازداد إساءة إلا ازداد عزة»، فلا داعي للمغالاة في تعطيل تلك السير عن فوائدها.

الهمسة الثانية

الاجتهاد بالنسبة للمحسن لا يتجزأ؛ فهو

حقيقة الربانية هو بذل الوسع فيما تحسن لكي تصل إليه -سبحانه- ولهذا قال[: «سبق درهم مائة ألف»

الاجتهاد في العبادات الظاهرة متنوع بتنوع الشرع فيه وبتنوع المواهب والقدرات

ينبغي بيان المنهج بأن أفضل الهدي هدي محمدﷺ وأن سواه مفضول وليس بسيء أو قبيح؛ فهذا خطأ في الاجتهاد، ولكن عليه أجر وثواب

قد تمكن في الفرائض أولا، ثم النوافل ولا تستقيم النوافل إلا بعد الفرائض، كما جاء في الحديث القدسي «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»، وبالنسبة للمجتهد في عبادته الاجتهاد في النوافل تحصين للفرائض؛ ولذلك تسمع أقوالا منهم مثل «إما الاجتهاد وإما الهلكة»، وآخر يذهب لصلاة الجماعة وقدماه تخطان الأرض!

الهمسة الثالثة

التعامل مع هذه السير يكون محبطا وكئيبا لمن لم يفقه السنة الربانية، «ولكن كونوا ربانيين»، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: الرباني الذي يأخذ بصغار العلم ثم كباره، وهذا في العلم والعبادة والدعوة وهي سنة التدرج والتدرب والمراس حتى تصبح العبادة ملكة، فلا ينبغي أن تأخذ لنفسك، أو في طرحك الدعوي المشهد الأخير من حياة أئمة السلف بعد طول مجاهدة وعناء وكد قال ثابت البناني: جاهدت نفسي في قيام الليل عشرين سنة، ثم استمتعت به عشرين سنة، فلا ينبغي تناول هذه السير بسطحية؛ فسطر منها يساوي عمرا واجتهادا وبذلا وتضحية سنين!

الهمسة الرابعة

العبادات الظاهرة أوعية لنزول البركات والرحمات في القلب، والعبادات الظاهرة كطرق أبواب الأرزاق الروحية والقلبية؛ فكلما عظم الوعاء وتتابع الطرق على الباب، فتح على العبد، وملئ الوعاء على قدره، «إن رحمت الله قريب من المحسنين»

الهمسة الخامسة

الاجتهاد في العبادات الظاهرة متنوع بتنوع الشرع فيه وبتنوع المواهب والقدرات؛ فالواجب عليك في نفسك وفي طرحك الدعوي للسائرين إلى الله أن تبين أنه ينبغي علينا وعليهم أن نعرف ما نصلح له وما يصلح لنا على حسب طاقاتنا وقدراتنا والجهاد فيه حق الجهاد واستفراغ الوسع فيه، وليس كل الصحابة -رضوان الله عليهم- أبابكر موسوعي الطاقات، وليس كلهم ابن عباس أو خالد، بل «كل ميسر لما خلق له» وليس التقيد بصورة الأعمال من الربانية في شيء، ولكن حقيقة الربانية هو بذل الوسع فيما تحسن لكي تصل إليه -سبحانه- ولهذا قالﷺ: «سبق درهم مائة ألف» لتفاوت طاقة المنفقين.

فكل شخص منظومة متكاملة مختلفة عن الآخر، وإنما يستفاد بالسير للنظر في اجتهاد السلف الهائل فيما يحسنون من ملكات، وكيفية التضحية في الوصول إلى الله من خلاله؛ فليس القضية في استفراغ الوسع فقط في القيام والصيام والذكر، ولكن إن كنت تحسن هذا فذاك وإن كنت تحسن غيره من طلب العلم والمذاكرة، أو الدعوة، والبلاغ، أو مساعدة اليتامى والمساكين، أو غير ذلك؛ فهذه ساحتك التي فيها لابد أن تتخصص وتتميز وتبدع وتسبق، والناس درجات ودركات؛ فتعاملك مع المدعوين قائم على ذلك؛ فليس الأعرابي الذي قال عنهﷺ: «أفلح إن صدق» كابن عمر -رضي الله عنهما- الذي قال عنه: «نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل».

الهمسة السادسة

ينبغي بيان المنهج بأن أفضل الهدي هدي محمدﷺ وأن سواه مفضول وليس بسيء أو قبيح؛ فهو خطأ في الاجتهاد، ولكن عليه أجر وثواب، وهم حاشاهم أن يتعمدوا المخالفة أو التقليل من عبادة النبيﷺ، فلابد من الاعتراف لأهل الفضل بالفضل، وكما نرفع عنهم الملام في الأمور العلمية باحتمال الاجتهاد في الخلاف السائغ والإنكار المتأدب في الخلاف غير السائغ فهكذا؛ فليظهر الأدب حين نطرق باب العبادة والسلوك إلى الله في حياتهم، ولنستفد ولنعالج تقصيرنا حتى في تطبيق خير الهدي وأيسره، هدي محمدﷺ من خلال سيرهم!

الهمسة السابعة

هناك خلل واضح وعدم توازن ملحوظ في إنتاج الدعوة الإسلامية عامة بين العلم والعمل والسلوك والصحوة السلفية، ولاسيما في الشخصيات، وهذا يحتاج لأصل النظرة الأحادية في التربية، ولابد من شمولية العلم والعبادة والعمل والدعوة والتخلص من المادية القاحلة بثورة قلبية تعبدية متجردة لرب العالمين، وفتح الآفاق لتراث الزهد والسلوك السلفي المنضبط .

الهمسة الثامنة

ينبغي لقاريء هذه السير ومستمعها، ألا يتعجل أثرها في قلبه، ويحصلها ريثما يفتح الله على قلبه ويرزق العمل؛ فالسعادة نصفان علم وعمل؛ فمن حصل الأولى بصدق وإخلاص، عسى الله أن يرزقه النصف الثاني؛ فيكون العلم كالمخزون الاستراتيجي الذي لاتدري متى تحتاج إليه حين يزال الحائل بينك وبين قلبك، «واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه»، واثبت على المجاهدة إلى الممات؛ فالإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي والغفلات، وأنت بين طاعة وغفلة ومعصية؛ فتدارك الإساءة بإحسان وتوبة وإنابة، واعلم أن الله لايمل حتى تملوا، فلا تفتر ولا تمل.

هذه ثماني همسات لاستيعاب سير السلف في اجتهادهم الهائل في العبادة والاستفادة من ذلك التراث العظيم. أسأل الله أن ينفع بها، والله ولي التوفيق.

سبع أسباب للإلحاد في العالم العربي

د. هشام عزمي

أكد د. هشام عزمي -الباحث والمتخصص في شؤون الإلحاد- أن الإلحاد له أوجه متعددة؛ حيث يمكن وقوع الشباب العربي في الإلحاد لأسباب شخصية واجتماعية ومعرفية، لافتا أنه من المهم التركيز على بعض الأسباب المحورية التي أبرزها كثيرٌ من الباحثين في قضايا الإلحاد الجديد، وأشار عزمي إلى أن من بين تلك الأسباب، هي العامل الشخصي نفسه ويكمن في أمور عدة؛ حيث يمكن تقسيم هذا العنصر إلى ٧ أسباب منها النفسية والفكرية، وهي كالآتي:

١- الثقة الزائدة بالنفس والغرور المعرفي

بعض الشباب عنده ثقة زائدة بإيمانه وصحة اعتقاده ، وفي كثير من الأحيان يكون هذا الإيمان مجرد إيمان قلبيٍ عاطفي ليس مؤسسًا تأسيساً علميًا صحيحا؛ فهو إيمان بالقلب دون معرفة أو علم سليم بالدين وأدلته وأسباب اليقين به، وعندما يتعرض هذا الصنف من المؤمنين لتحديات الإلحاد واستشكالاته وتساؤلاته لا يجد لديه من العلم أو المعرفة ما يدفع به هذه التساؤلات والشكوك، وهو في الوقت نفسه لا يعترف بجهله بدينه وبأن الأجوبة عن هذه التساؤلات موجودة لكنه يجهلها؛ فتكون النتيجة هي وقوعه في الإلحاد.

٢- الجفاف الروحي

عدم الشعور بلذة العبادة، والقرب من الله، والأنس بذكره ومناجاته -تبارك وتعالى- يؤدي إلى جفاف شديد في المشاعر الروحانية، وهذا الجفاف يجعل قرار الإلحاد يسيرًا على المرء، بخلاف من عاين وخبر هذه المشاعر .

٣- السطحية الفكرية

بعض الشباب عندما يشرع في قراءة بعض الكتب، أو المقالات، أو الفيديوهات التي تروج للإلحاد، قد ينبهر بما تعرضه نظرًا لافتقاده الحاسة النقدية، أو لعدم قدرته على التمحيص والنقد لكل ما يُعرض أمامه من أطروحات؛ فيكون هذا الأمر بابًا للوقوع في الإلحاد، بينما لو تريث الشاب حتى يزداد علمًا ورسوخًا في القراءة والمعرفة لكان قراره مختلفًا تمامًا، كما يقول د. هيثم طلعت: «الإلحاد هو حكمٌ سطحيٌ كسولٌ للغاية على قضية عميقة للغاية ممتلئة بالأدلة».

٤- الاندفاع والعجلة

وهذا السبب قريبٌ من الذي قبله لكنه يتعلق بالجانب النفسي لا الفكري .

٥- سطوة الشهوات

وهذا الأمر من أبرز أسباب الإلحاد بين المراهقين؛ حيث يتعارض الاستمتاع بالشهوة مع الشعور بالذنب ووخز الضمير، ويكون على المرء أن يختار بين طاعة الله والانخراط في الشهوات؛ فيكون قراره هو التخلص من الله والدين وتكاليفه، وهذا هو ما يدندن حوله كثير من منظري الإلحاد في كلامهم عن أن الشخص عندما يتخذ قرار الإلحاد يشعر بحالة من الارتياح والخلاص من التكاليف الدينية، لكن بالطبع هذا الشعور المبدئي بالراحة والتخفف من التكاليف الدينية يليه بعد فترة -طالت أم قصرت- الشعور بالقلق النفسي، وفقدان السعادة، وعدم القدرة على التلذذ بالمتع الدنيوية حتى مرحلة اليأس والقنوط من مصاعب الحياة الدنيا والرغبة في الانتحار.

٦- الاضطرابات النفسية

هناك علاقة بين الإلحاد وعدد من الاضطرابات النفسية مثل: الاكتئاب والوسواس القهري، بل إن هناك فئات معينة من المرضى نفسيًا مثل: أصحاب الشذوذ الجنسي يتم استهدافهم في الدعاية للإلحاد بزعم أن الإلحاد هو المذهب الوحيد الذي يمنحهم حريتهم الجنسية.

٧- نظرية الوالد المشوه (المعيب)

وضع هذه النظرية البروفيسور بول فيتز Paul Vitz -أستاذ علم النفس بجامعة نيويورك- مستخدمًا أدوات المدرسة التحليلية الفرويدية في علم النفس ليخرج بنتيجة مخالفة تمامًا لما وصل إليه فرويد ومنتقدًا إياه، وينطلق بول فيتز من هذه المدرسة في علم النفس فيقرر أن دوافع الإلحاد وموانع الإيمان بالله -تعالى- هي بالأساس نفسية وليست عقلية منطقية، وأن هذه الدوافع تنقسم إلى قسمين: سطحية مثل الانتماء لفئة اجتماعية، أو علمية معينة، أو عدم الرغبة في التقيد بالتكاليف الدينية أو غيرها، وعميقة في العقل الباطن وهي الدوافع التحليلية.



أيها الداعية: كبَّروك فاكْبَر

وائل رمضان

كنت في مجلس لأحد المشايخ الفضلاء، فمدح أحدهم شخصًا في المجلس، فقال هذا الشخص للشيخ محاولاً دفع المدح عن نفسه، (إنَّهُم يُكبّرونني) أي يرفعون من شأني، فقال الشيخ: (كبَّروك فاكْبَر)، استوقفني هذا المعنى كثيرًا ووجدت أن كثيرا من الإشكالات التي نعاني منها تنطلق من الخلل في تطبيق هذا المفهوم، ألا وهو (تحمل المسؤولية)، وأن يكون الإنسان على قدر كبير من الثقة التي أولاها الناس له، وأن يكون عند حسن ظنهم به.

التخلف عن بذل الجهد

والناظر إلى الواقع العام والواقع الدعوي خصوصا، يجد أن كثيرا من الناس تخلف عن بذل الجهد لإنقاذ الأمة مما تعانيه اليوم، والتضحية لإعزاز دين الله في الأرض، ويتضح لك فعلاً أن الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة، كما ورد في حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة» (رواه البخاري: ٦٤٩٨، ومسلم: ٢٥٤٧)، قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: إن أكثر الناس أهل نقص، وأما أهل الفضل فعددهم قليل جدًا؛ فهم بمنزلة الراحلة في الإبل، ومنه قوله -تعالى-: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: من الآية ١٨٧).

معان عدة

كبَّروك فاكْبَر تحمل معاني عدة أهمها ما يلي:

تقدير حجم التبعة

كبَّروك فاكْبَر تجعل الإنسان يُقدر حجم التبعة والأمانة التي تحملها ولا سيما إذا كان مكلفًا بأعمال ومحملاً بمهام ومسؤوليات، فلابد لمن سلك طريق الدعوة إلى الله، من مجاهدة نفسه، وحملها على تحمّل أعباء هذه الدعوة، والمضي قدمًا في إيصال هذا المنهج المبارك إلى الناس كافة وبشتى الوسائل الشرعية الممكنة وبمختلف الوسائل والسبل المتاحة.

حقيقة الانتماء

كبَّروك فاكْبَر تجعل الإنسان يفهم حقيقة الانتماء إلى الدعوة، وأنَّ لهذا الانتماء أبعاد تتجاوز الحدود الشكلية، والاعتبارات المظهرية، أبعادا تؤكد العمق العقدي وقوة الارتباط المنهجي؛ فالانتماء للدعوة انتماء لهذا الدين، ومن ثم امتثال لأمر الله -تعالى- وطمع في رحمته ورضاه، وهذا المعنى يجعل ارتباط الأفراد بالله واجتماعهم عليه -سبحانه وتعالى-، وهذا في الواقع سر بقاء الدعوة وثباتها وبقائها واستمرارها في مواجهة الأمواج العاتية والفتن الحالكة.

التضحية

كبَّروك فاكْبَر، تعني التضحية بمعناها الشامل من بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل تحقيق الغاية والهدف والفكرة النبيلة التي حملها الإنسان؛ فليس في الدنيا جهاد لا تضحية معه؛ فالدعوة دعوة إيمان وعمل، دعوة بذل وعطاء، ومن قعد عن التضحية والبذل تخلف عن الركب.

نمط آخر

كبروك فاكبر تعني أن تكون نمطًا آخر من الناس، في أخلاقك ومعاملاتك، ومشاعرك واتجاهاتك.

أيها الداعية: كبروك فاكبر تعني أن تخرج من أنانياتك وذاتيتك إلي ذاتية الدعوة ومصلحتها.



في الصميم

هيام الجاسم

خالطهم وزايلهم!

خالط الناس وفارقهم في آن واحد، إنها الغربة النفسية تلتحف جلّ أوقاتك، حماية، ووقاية، وعلاجا لك ولغيرك من آفات أنت في غنى عن أن تجعل من نفسك مرتادا لها، لا بل قد تجعل من نفسك مسوّقا لها؛ من حيث استدراجهم لك!

بعد القراءة والاطلاع على اثنين وعشرين مرجعًا علميًا في قضية (اعتزال الناس ومخالطتهم)، أيهما الأولى في حياة المسلم؟ كانت هذه المقالة سطّرتها بقلمي المتواضع، العزلة أم الخلطة مع الناس؟ عشر آيات وثلاثة وثلاثون حديثا في البخاري ومسلم مع ما اتفقا في رواية بعض منها تتحدث عن العزلة والاعتزال، وضوابطه وأحكامه ومفاهيمه المتعددة بحسب سياق ذكره في الموقف والحدث والآية والحديث، ولسنا بصدد التفصيل في حيثيات العزلة كافة، وإنما الذي يعنينا في هذه المقالة المتواضعة جانب التخفف من الاختلاط بالناس حماية ووقاية وسلامة وتقوية للثبات على الطاعات، وتجنّبا لفعل المعاصي واجتناب مضيعة الوقت، وغبن الصحة والعافية، وأيضا من ناحية أخرى لغايات وفوائد أخرى جمّة، وذلك للتفرغ لنفسه ليقدم لها نصيبها المأمورة به من العبادة لله -تعالى- ولاستثمار الوقت والصحة فيما يرضي الله وليعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا، ويسعى في الأرض على كسب رزقه، وليعمل لآخرته كأنه يموت غدا، وغيرها من الفوائد الكثيرة التي منها محاسبة النفس، واستذكار عيوبها؛ لإصلاحها وللتدبروالتفكر في آلاء الله -عز وجل.

لذا يجدر بالمرء اللبيب ألاّ يضيع نفسه من أجل إرضاء المجتمع والتودد لمن يهمّه ترضيتهم حتى بات كثير من الخلطاء يعانون من متلازمة إرضاء الناس!

صلة الأرحام

صلة الأرحام غير داخلة في دائرة التخفف المنشود؛ فصلات الأرحام ثابت من ثوابت الدين، تتكسّر الأقلام التي تدعو لقطيعة الأرحام ولها الويل والثبور، إنما الذي يعنينا قضية التخفف من الناس في غير حاجة تعبدية لله من خلال مخالطتهم مخالطة توسعيّة لاتضيف للمرء شيئا نافعا، بل أضرار الاحتكاك بالناس واضحة للعيان، بلا هدف مقصود، ولاغاية جليلة، وضرره حتمي، ونفعه زائل؛ فتلك قضية مجتمعية تستحق التوقف عندها، والتطرق لتفاصيل الواقع المجتمعي الذي ينبغي أن نرسم منهجية حياتنا الدنيا عليه.

اختلاف الناس

ولقد اختلف الناس وتنازعوا في الرأي حولها كثيرًا؛ فمنهم المؤيد للعزلة تمامًا ومنهم المؤيد للاختلاط مع الناس، بعض العلماء السابقين فصلوا بين المتنازعين في ضبط المسألة شرعًا، أمثال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله تعالى-؛ فقال في الجزء العاشر من مجموع فتاويه ص٤٢٥ كلامًا طويلا تفصيليا أذكر طرفا منه، ومن أراد فليراجع المسألة في بابها: «هذه المسألة وإن كان يتنازعون فيها، إما نزاعا كليًا، وإما حاليا؛ فحقيقة الأمر أن الخلطة تارة تكون واجبة وتارة مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة وبالانفراد تارة، وجماع ذلك أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى، فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها... إلخ إلخ»، إلى هنا كان النقل من مجموع فتاويه -رحمه الله تعالى- ثم استطرد شارحًا ومفصلا أكثر فأكثر، ومقدمة كلامه في المقدمة هي المانشيت العريض والرئيسي لاستيضاح قضية التخفف أم المخالطة؟ وغيره من أهل العلم أيضا أفردوا أبوابا وفصولا في كتبهم لهذه القضية المهمة؛ لما يترتب عليها من محامد ومفاسد على الوجهين السلب والإيجاب، بما يضر الناس وماينفعهم، ومايحمد للشخص المقبل على المخالطة أو المدبر عنها.

مخالطة الناس

مخالطة الناس بقدر مافيها من التجارب والخبرات وعلى مافيها من المنافع للمخالط إن كان لهم عمدة حكيمًا راشدا في أسرته وعائلته، أو هو شيخ كبير المقام في العلم والفتوى وهلمّ تترى وجرّا للفوائد الجمّة، إلا أنّ التوسع والبحبوحة في الخلطة والمخالطة له ماله من المضار والسوء في التوسع في المباحات، ناهيك عن التأثر بالسوقية من اللاّ أخلاقيين من الناس، فضلا عن أن الصاحب ساحب، ومنذ نعومة أظفارنا نقرأ ونسمع مصطلح (التقليد الأعمى)، واضطرار

المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى، فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها

المجاملة في المعاصي من القول والفعل؛ فنحن -النساء- كم من مجالس نجلس فيها للاعتبارات الاجتماعية لاتخلو من تفاخر وتباه وتنابز بالألقاب ومضيعة الوقت والحديث فيما لاينفع مطلقا.

خلطة السوء

نقرأ عن علماء سابقين ومحدثين لم يرضوا لأنفسهم خلطة السوء ولامرافقتهم، وصنّفوا في ذلك، أمثال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه في كتاب الرقاق باب ٣٤، (باب العزلة راحة من خلاّط السوء) والروايات تترى عن السابقين كيف كان يقينهم في الحديث النبوي؟ «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» رواه البخاري.

صحبة الخير

ولعبدالله بن المبارك -رحمه الله- سلسلة من المواقف التي يعرف بها بريادته لصحبه في الخير وبذل المعروف واحتواء إخوانه في الله، إلا أنه في المقابل وفي حقبة زمنية أراد لنفسه التخفف من الخلطة الواسعة بالناس! قال نعيم بن حمّاد: كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته؛ فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبيﷺ.

مخمومو القلوب

فكم من غيبة ونميمة وهمز ولمز وطعن وشتم واحتقار وغيرة وحقد نتعرّض له في يوميات مخالطتنا للناس عامة، تمنعنا من أن نكون مخمومي القلوب، ناهيك عن مجتمعك المحيط بك من معارفك وأصدقائك وزملاء العمل والوظيفة، إن كان مجتمعًا مليئا بالسفهاء والساذجين!

مواقع التواصل الاجتماعي

مع احتقان وحمأة الإدمان على مواقع التواصل الاجتماعي، صارت الكتابة والتحدث عن شأن التخفف من الخلطة كلاما غريبا، يراه كثير من الناس على أنه لغة سريالية غير مفهومة ولامطروقة، لا في حياتهم ولا على أسماعهم، يستغربون، عن أي تخفّف تتحدثون؟ وعن أي أضرار تحذّرون؟؛ فإن الناس صارت حياتهم معروضة في الشارع، وغسيلهم منشور على السطوح وفي (البلكونات) الشّرفات، أضحى الناس يتفاخرون بكثرة المتابعين، ويتباهون بخوضهم التواصلي مع (الفانزات)، هكذا هم يقولون ويطلعون علينا في الإعلام.

سلامة القلب والعقل

سلامة قلبك وعقلك من الخوض من الخائضين، رأس مالك وتاج مشرّف على رأسك، لن تسلم من الانحدار مادمت على المواقع التواصلية قائما ومدمنا، لاتفرّق بين المسموح والمحظور، وإن كان الأوّلون حذّرونا من المخالطة المفضية إلى التوسع في المباحات وارتكاب المحرمات؛ فمن باب أولى حماية أنفسنا من المخالطة الإلكترونية

العزلة في المجالسات

العجيب الغريب في هذا العقد من الزمان أن الناس في المجتمعات صارت العزلة في المجالسات تستهويهم، وماعاد أحد ليطيق زيارة أحد إلا مارحم ربي، وضاقت النفوس باللقيا، إلا أنهم بالرغم من العزلة الاختيارية مجتمعيا، إلا أنهم تداخلوا أكثر فأكثر إلكترونيا، وبات الناس مدمنين على الشاشات الإلكترونية، واختلطوا وماجوا في الخلطة عبر فضاء الأقمار الصناعية، وأحجموا عن اللقاءات الأسرية الاجتماعية ذات النفع.

مدمنو الحياة الجماعية

جولة في علم الفقه الكبير في مجال التخفف من المخالطة لعلها تصل إلى مدمني الحياة الجماعية، سواء عبر مواقع التواصل، أم عبر واقع الجلسات، يقول عبدالله بن مسعود الصحابيرضي الله عنه: «كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سُرُجَ الليل، جُدُدَ القلوب خِلْقَانَ الثياب، تعرفون في أهل السماء وتخفون على أهل الأرض»، ويقول الصحابي أبوالدرداءرضي الله عنه: «نعم صومعة الرجل بيته، يكفّ فيها بصره ولسانه، وإيّاكم والسوق؛ فإنها تلهي»، يقول محمد بن الحنفية: وحشة الانفراد أبقى للغر من مؤانسة اللقاء، والغر هو الغافل غير المجرّب الذي من الممكن أن يتعرض للخديعة بسبب سذاجته وقلة خبرته، يقول الماوردي: «إن الصديق يلج في غشيانه لصديقه حتى تراه بعد طول سروره متثاقلا بمكانه».

صلة الأرحام غير داخلة في دائرة التخفف المنشود؛ فصلة الأرحام ثابت من ثوابت الدين

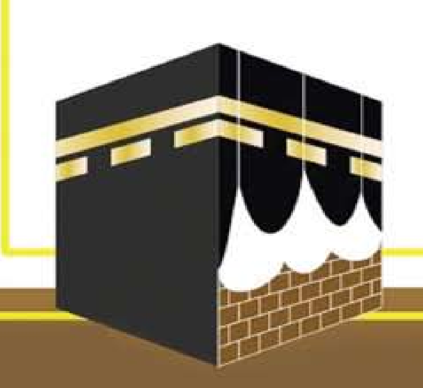
التخفف من المخالطة

إن التخفف من المخالطة تكفيك مؤونة التكاليف في الواجبات التي هي حقوق الناس عليك، وتحفظ عليك وقتك لما هو أنفع لك، وتحميك من السقطات في مواقف قد لاتقوى على مجاهدة نفسك بها، وتقيك مما اضطر إليه كثير من الناس مما انجبروا عليه جبرا مخجلا!

الأصل في المسلم

الأصل في المسلم أن تكون مخالطته الناس في المجتمع، يحددها مدى المنفعة لنفسه ولغيره، ويدور حيث دار نشر الخير والتعاون على البر والتقوى والطاعة، ونشر العلم وخير العمل والتكافل بين الناس، أما إن دارت الدوائر ووجد جمعا من الناس يأتمرون بالمنكر وينهون عن المعروف؛ فليس له مخالطتهم إلا أن يكون له الريادة والسيادة، وقوله مسموع، وله عندهم اعتبار ومقام اجتماعي، وهيبة ووقار في نفوسهم، فله أن يجلس معهم ويناصحهم لترك المنكرات.





سماحة الشيخ عبد العزيز بن
عبدالله بن باز -رحمه الله

السنة ترتيب أعمال يوم النحر

■ **ما الأفضل في أعمال يوم النحر، وهل يجوز التقديم والتأخير؟**

● السنة في يوم النحر أن يرمي الجمرات، يبدأ برمي جمرة العقبة وهي التي تلي مكة، ويرميها بسبع حصيات كل حصاة على حدة يكبر مع كل حصاة، ثم ينحر هديه إن كان عنده هدي، ثم يحلق رأسه أو يقصره، والحلق أفضل، ثم يطوف ويسعى إن كان عليه سعي هذا هو الأفضل، كما فعله النبيﷺ؛ فإنه رمى ثم نحر ثم حلق ثم ذهب إلى مكة فطاف -عليه الصلاة والسلام-، هذا الترتيب هو الأفضل، الرمي ثم النحر، ثم الحلق، أو التقصير، ثم الطواف والسعي إن كان عليه سعي؛ فإن قدم بعضها على بعض فلا حرج، أو نحر قبل أن يرمي، أو أفاض قبل أن يرمي، أو حلق قبل أن يرمي، أو حلق قبل أن يذبح كل هذا لا حرج فيه، النبيﷺ سئل عمن قدم أو أخر فقال: «لا حرج لا حرج».

حكم من سافر ولم يكمل طواف الوداع

■ **امرأة كبيرة في السن عليها طواف وداع، ولكنها طافت ثلاثة أشواط ولم تتم الباقي نظراً لتعبها وشدة الزحام في الحج وقرب وقت سفرها بالطائرة؛ فماذا يجب عليها ؟**

● على كل محرم بالحج أو العمرة، أن يطوف الطواف الواجب، ولو محمولاً أو في عربة، وليس له ترك الطواف ولا شيء منه، وهكذا السعي؛ لقول الله -سبحانه-: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾؛ ولما ثبت عن أم سلمة -رضي الله عنها-، أنها اشتكت للنبيﷺ عجزها عن الطواف ماشية لمرضها؛ فأمرها أن تطوف وهي راكبة ، وإذا سافر الرجل والمرأة ولم يطف طواف الوداع بعد الحج؛ فعليه التوبة إلى الله -سبحانه- مع الفدية، وهي ذبيحة تذبح في مكة توزع على الفقراء، ويجزئ فيها ما يجزئ في الأضحية، وهو رأس من الغنم، أو سبع بدنة، أو سبع بقرة.

حكم من لم يستطع الرمي قبل غروب يوم الثالث عشر

■ **لو لم يستطع أحد الحجاج أن يرمي الجمرات يوم الثالث عشر، وهذا آخر أيام التشريق إلا بعد الغروب، هل يجزئه ذلك؟**

● إذا غابت الشمس لم يبق رمي في اليوم الثالث عشر؛ فإن كان مقيماً حتى جاء اليوم الثالث عشر في منى فعليه الرمي؛ فإذا غابت الشمس ولم يرم فعليه دم؛ لأن الرمي ينتهي بغروب الشمس يوم الثالث عشر .

حكم جمع طواف الإفاضة مع طواف الوداع

■ **هل يجوز جمع طواف الإفاضة مع طواف الوداع في حال الخروج مباشرة من مكة والعودة إلى الوطن ؟**

● لا حرج في ذلك، لو أن إنساناً أخر طواف الإفاضة؛ فلما عزم على السفر طاف عند سفره بعدما رمى الجمار وانتهى من كل شيء؛ فإن طواف الإفاضة يجزئه عن طواف الوداع، وإن طافهما -طواف الإفاضة وطواف الوداع-؛ فهذا خير إلى خير ، ولكن متى اكتفى بواحد ونوى طواف الحج أجزأه ذلك .

وقت النفر من منى

■ **متى يبدأ الحاج بالنفير من منى ؟**

● يبدأ الحاج بالنفير من منى إذا رمى الجمرات يوم الثاني عشر بعد الزوال؛ فله الرخصة أن ينزل من منى. وإن تأخر حتى يرمي الجمرات في اليوم الثالث عشر بعد الزوال؛ فهو أفضل.

الحكمة من رمي الجمرات

■ ما الحكمة من رمي الجمرات والمبيت في منى ثلاثة أيام، نأمل من فضيلتكم إيضاح الحكمة من ذلك ولكم الشكر؟

● على المسلم طاعة الرسول ﷺ واتباع الشرع، وإن لم يعرف الحكمة؛ فالله أمرنا أن نتبع ما جاء به الرسول ﷺ، وأن نتبع كتابه، قال -تعالى-: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾، وقال -سبحانه-: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾، وقال -سبحانه-: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، وقال -عز وجل-: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾؛ فإن عُرِفت الحكمة فالحمد لله، وإن لم تعرف فلا يضر ذلك، وكل ما شرعه الله هو لحكمة، وكل ما نهى عنه هو لحكمة، سواء علمناها أم جهلناها؛ فرمي الجمار واضح بأنه إرغام للشيطان وطاعة لله -عز وجل-، والمبيت في منى الله أعلم بحكمته -سبحانه وتعالى- ولعل الحكمة في ذلك تسهيل الرمي إذا بات في منى ليشتغل بذكر الله ويستعد للرمي في وقته لو شاء الذهاب في الوقت المحدد للرمي حسبما يتناسب معه؛ فلربما تأخر عن الرمي، وربما فاته، وربما شغل بشيء لو لم يبت بمنى، والله -جل وعلا- أعلم بالحكمة -سبحانه وتعالى- في ذلك.

حكم الفصل بين الطواف والسعي بزمن طويل

■ طفت طواف القدوم وطواف الإفاضة دون سعي، هل يجوز الفصل بين الطواف والسعي بزمن طويل؟

● لا حرج في الفصل بين السعي والطواف عند أهل العلم، فلو سعى بعد الطواف بزمن أو في يوم آخر، فلا بأس بذلك ولا حرج فيه، ولكن الأفضل أن يتوالى السعي مع الطواف؛ فإذا طاف بعمرته سعى بعد ذلك من دون فصل، وهكذا في حجه ولو فصل فلا حرج في ذلك؛ لأن السعي عبادة مستقلة؛ فإذا فصل بينهما بشيء فلا يضر؛ ولهذا لو قدم الحاج أو القارن وطاف فقط وأجل السعي إلى ما بعد نزوله من عرفات فلا حرج في ذلك، وإن قدمه فلا حرج في ذلك .

من ترك الرمي فعليه دم

■ في الحج الماضي رمت زوجتي الجمرة الأولى والباقي قمت بالرمي عنها خوفاً من الزحام ولم يكن هناك زحام، فهل يصح حجها والحال ما ذكر؟

● الحج صحيح وعليها دم عن ترك الرمي يذبح في مكة ويوزع بين الفقراء، والدم الواجب سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو رأس من الغنم يجزئ في الأضحية وهو جذع ضأن، أو ثني من المعز.

حكم من أحس بتعب قبل إكمال الطواف

■ أنا امرأة مريضة ذهبت إلى العمرة، وعندما طفت ثلاثة أشواط أصبت بالدوخة، ماذا يجب علي أن أفعل ؟

● عليك أن تستريحي وتكملي الطواف؛ فإن طال الفصل فأعيدي الطواف من أوله، أما إذا زالت الدوخة بسهولة وسرعة؛ فكملي الطواف ويكفي والحمد لله.

حكم من رمى الجمار دون ترتيب جهلا

■ رجل حج العام الماضي، وفي آخر يوم رجم الكبير قبل الصغير؛ فماذا عليه؟

● نرجو ألا يكون عليه شيء لأجل الجهل أو النسيان؛ لأنه قد حصل المقصود وهو رمي الجمرات الثلاث، لكنه نسي أو جهل الترتيب، وقد قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾، وقد صح عن رسول الله ﷺ أن الله قال : «قد فعلت»، والمعنى أن الله قد أجاب دعوة المؤمنين، ولكن من نسيه أو ذكر قبل فوات الوقت لزمه رمي الثانية، ثم جمرة العقبة حتى يحصل بذلك الترتيب.

التوكيل في الرمي لمن معها أطفال

■ حججت في العام الماضي ولله الحمد وقد رميت الجمرات عن زوجتي ولم تكن حاملاً ولا مريضة، وكان معنا أربعة أطفال صغار، شاهدت الزحام فلم أرها تستطيع الرمي؛ فهل يجوز التوكيل؟ أم أنها تركت واجباً؟ وماذا عليها الآن؟

● إذا كان الحال كما ذكرتم فلا شيء عليها إذا كانت قد وكلتك في ذلك؛ لأن تعاطيها الرمي مع الأطفال فيه خطر عظيم عليها وعلى الأطفال .

ذو الحجة .. شهر خير وبركة

سالم الناشي

رئيس تحرير مجلة الفرقان

لندن ٢٠١٩/٨/٥

● ها قد أقبلت أيام شهر ذي الحجة بخيراتها وبركاتها؛ فالعمل فيها أحب إلى الله من بقية الأيام؛ ففيها صيام التسعة أيام الأولى منها، من اليوم الأول من ذي الحجة إلى اليوم التاسع وهو يوم عرفة، ومستحب فيها الذكر، والتكبير، وقراءة القرآن، والصدقات، قال -ﷺ-: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء»، وقوله -ﷺ-: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل من هذه الأيام العشر؛ فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد».

● فينبغي للمسلم أن يحرص حرصًا شديدًا على عمارة هذه الأيام بالأعمال والأقوال الصالحة، ومن عزم على شيء هيأ الله له الأسباب التي تعينه على إكماله، ومن صدق الله صدقه الله، قال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت.

● قال الإمام البخاري: كان ابن عمر وأبو هريرة -رضي الله عنهما- يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما، وقال أيضا: وكان عمر يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد؛ فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرا، ويستحب الجهر بالتكبير في الأيام العشر الأوائل من ذي الحجة، لقول النبي -ﷺ- في حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-: «مامن أيّام أعظم عند الله -سبحانه- ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر؛ فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد»، وقال أيضا في صيغة الذكر المستحبة «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

● وقراءة القرآن فضلها عظيم في كل وقت، وفي هذه الأيام أوكد، فعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ مَسْعُود قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ: ﴿ألم﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».

● ومن صام يوم عرفة له أجر عظيم، ثبت عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: أن الله يكفر بصوم يوم عرفة السنة التي قبله والسنة التي بعده شريطة اجتناب الكبائر.

● وقال -ﷺ-: «صِيامُ يوم عَرَفَةَ، إنِّي أَحْتَسِبُ على الله أَنْ يُكَفِّرَ السنَةَ التي قَبلَهُ، والسنَةَ التي بَعدَهُ، وصِيامُ يوم عاشُوراءَ، إنِّي أَحْتَسِبُ على اللهِ أنْ يُكفِّرَ السنَةَ التي قَبلَهُ».

● وأيام العيد في ذي الحجة أربعة أيام، يوم العيد ويسمى يوم النحر لنحر الأضاحي فيه وأيام التشريق الثلاثة. ويشرع التكبير فيها، وينهى عن صيام أيام العيد، فإنَّ النبيَّ -ﷺ- كان يُكبِّرُ من صبح يوم عرفه إلى آخر أيام التَّشريق ، ولَمْ يُرَخَّصْ في أيَّامِ التَّشْرِيقِ أنْ يُصَمْنَ، إلَّا لِمَن لَمْ يَجِدِ الهَدْيَ. وأيَّامُ التَّشْرِيقِ أيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ.

● أما عن الأضحية فإنَّ رجلًا سأَلَ ابنَ عمرَ عن الأضحيةِ أواجبةٌ هي؟ فقال: «ضحَّى رسولُ اللهِ -ﷺ- والمسلمونَ» فأعادها عليهِ فقال: أتعقِلُ؟ «ضحَّى رسولُ اللهِ -ﷺ- والمسلِمونَ».